الرسالة الوجودية في معنى قوله ﷺ

﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾

تأليف الشيخ الأكبر

محيي الدين بن عربي رضي الله عنه

يليه:

القول الأشبه في حديث

﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾

تأليف خاتمة الحُفّاظ

جلال الدين السيوطي رضي الله عنه

قدّم لهما وعلّق عليهما

عاطف وفدي

مكتبة الرحمة المهداة

الرسالة الوجودية في معنى قوله ﷺ
﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾

تأليف

الشَّيخ الأَكبر مُحيي الدِّين بن عَرَبيّ ﷺ

(المُتوفَّى سَنَة ٦٣٨ هـ)

يَلِيه :

القول الأشبه في حديث
﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾

تأليف

الحَافِظ جَلاَل الدِّين السُّيوطِيّ ﷺ

(المُتوفَّى سَنَة ٩١١ هـ)

قَدَّم لَهُمَا وعَلَّق عَلَيْهِمَا

عَاطِف وَفدِي

(الطَّبْعَة الأُولَى - ٢٠١٠ م)

مَكْتَبَة الرَّحْمَة المُهْدَاة

المنصورة - ش الهادي - عزبة عقل

ت : ٠١٠/١٤٢١٤٦٩

E-mail : almohdat@yahoo.com

عنوان الْكِتَاب	الرِّسَالَة الْوُجُودِيَّة في مَعْنَى قَوْلِه ﷺ ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ . الْقَوْل الأَشْبَه في حَدِيث ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ .
تـــــأليف	الشَّيْخ الأكبر مُحْيِي الدِّين بن عَرَبِيّ ؓ & الْحَافِظ جَلَال الدِّين السُّيُوطِيّ ؓ .
تقديم وتعليــق	عَاطِف وَفْدِيّ .
النّاشـــــر	مَكْتَبَة الرَّحْمَة الْمُهْدَاة .
بلــد النَّشَـر	مِصْر .
عنوان النّاشــر	الْمَنْصُورَة – ش الْهَادِي – عزبة عقل .
رقم التليفــون	٠١٠/١٤٢١٤٦٩
الطَّبْعَـــــة	الأُولَى .
ســنة الطَّبْــع	١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م .
مقاس الْكِتَاب	١٧ × ٢٤ سم .
عدد الصَّفَحَات	٥٦ صفحة .
رقم الإيــداع	٢٠١٠/٤٥٥٨
التَّرْقِيم الدَّوْلِيّ	977 - 5899 - 70 - 2

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمَـــة المُحَـــقِّق

الْحَمْد لِلَّه الذي أَصْعَدَ قَوَالِبَ الأصفياء بالْمُجَاهَدَة ، وأَسْعَدَ قُلُوبَ الأولياء بالْمُشَاهَدَة ، وحَلَّى أَلْسِنَةَ الْمُؤْمِنين بالذِّكْر ، وجَلَّى خَواطرَ الْعَارِفِين بالْفِكْر ، وحَرَس سَوَادَ الْعِبَاد عَنِ الْفَسَاد ، وحَبَس مُرَادَ الزُّهَّاد على السَّدَاد ، وخَلَّص أَشْبَاحَ الْمُتَّقِين مِنْ ظُلَم الشَّهَوَات ، وصَفَّى أَرْوَاحَ الْمُوقِنِين عَنْ ظُلَم الشُّبُهَات ، وقَبِل أعمالَ الأخيار بأداء الصَّلَوَات ، وأَيَّد خِصَالَ الأحرار بإسداء الصِّلاَت ..

أَحْمَدُه حَمْدَ مَنْ رَأَى آياتِ قُدْرَتِه وقُوَّتِه ، وشاهَد الشَّوَاهِدَ مِنْ فَرْدَانِيَّتِه ووَحْدَانِيَّتِه ، وطَرَق طَوَارِقَ سِرِّه وبِرِّه ، وأُومِن به إيمانَ مَنْ آمَن بكِتَابه وخِطَابه وأنبيائه وأصفيائه ووَعْدِه ووَعِيدِه وثَوَابِه وعِقَابِه ..

وأَشْهَد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وَحْدَه لا شَرِيكَ له ، وأَشْهَد أنّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه ، بَعَثَه لأصلاب الْفَسَقَة والْفَجَرَة قاصِماً ، ولِعُرَى الْجَاحِدِين والْمَارِقِين فاصِماً، ولِبَاغِي الشَّكّ والشِّرْك قاهِراً ، ولأتباع الْحَقّ والإحسان ناصراً .. فَصَلَوَات اللّه عَلَيْه وعلى آلِه وأَصْحَابه أَجْمَعِين .

وبَعْـــدُ .. فإنّ معرفة الْحَقّ ﷻ هي الْغَايَة التي لَيْس بَعْدَهَا غاية ، وهي الْفَوْز الْعَظِيم والْفَلاَح الدّائم والسَّعَادَة الأبديَّة ، ولِذَا فإنّ معرفة الطَّرِيق الْمُؤَدِّيَة إلى تِلْك الْمَعْرِفَة والْوَسِيلَة الْمُوصِلَة إلى تِلْك الْغَايَة مِنْ آكَد الأمور وأَهَمِّهَا وأَوْلاَهَا بِالْبَحْث والاستقصاء والسَّعْي والْكَدّ في سبيل إحرازِهَا ..

ولَمَّا كان مِنْ صفات رَبِّنَا ﷻ الرَّحْمَة والرَّأْفَة والْكَرَم والْجُود فَقَدْ مَنَّ عَلَيْنَا وتَكَرَّم بإرسال الْحَبِيب الْمُصْطَفَى ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين وهادِياً إلى الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم والطَّرِيق الْقَوِيم الذي مَنْ تَمَسَّك به واقْتَدَى اهْتَدَى وأَحْرَز مُرَادَه وصَحَّح اعتقادَه وحَصَّل غايتَه ونال بُغْيَتَه .

ومِمَّا استَقَرّ عليه الأمر عِنْد أَهْل الشَّأْن في السَّيْر والسُّلُوك إلى اللّه تعالى أنّ مَعْرِفَة النَّفْس سُلَّم ومِرْقَاة لِلْوُصُول إلى مَعْرِفَة الرَّبّ جَلّ وعَلاَ ، والْوَسَائل تُعْطَى حُكْمَ الْمَقَاصِد كَمَا هو مُسْتَقَرّ عَلَيْه عِنْد أَهْل الأُصُول .

وقد اختَلَف الْعُلَمَاء في الْمَقْصُود بِمَعْرِفَة النَّفس اختلافاً أرى أنّ الأصوب أنْ يُوصَف بأنَّه تَنوُّع أدَّى إليه تَعَدُّد الاعتبارات وتَفَاوُت مَرَاتِب ومَنَازِل الأولياء والصَّالِحِين وأحوال السَّالِكِين والسَّائرين والْمُرِيدِين ..

وكُلُّ فَتىً عَلَـى مِقْـدَارِ مَـا قَـدْ سَـقَاهُ بِكَفِّـهِ السَّـاقِي يُغَنِّـي

وحَتَّى لا نُكَرِّر ما قاله الشَّيْخ الأكبر مُحْيِي الدِّين بن عَرَبِيّ وما أَوْرَدَه الْحافِظ السُّيُوطِيّ رحمهما الله في رِسَالَتَيْهِمَا فإنَّا نَكْتَفِي هُنَا بالتَّأْكِيد على أنّ كُلّ الأقوال التي وَرَدَتْ في مَعْنَى معرفة النَّفس إنَّمَا يَجْمَعُهَا كُلُّهَا غاية واحِدَة – سَبَق الإشارة إليها – لأنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ مِشْكَاة واحدة ، ولَيْس أحد هذه الأقوال بأَوْلَى مِن الآخَر إلاّ بأحد الاعتبارات التي أَشَرْنَا إلى بَعْضِهَا .

وفي تِلْك الْعُجَالَة نُورِد بَعْضاً مِمَّا أَوْرَدَه الأئمَّة الأعلام في مَعْنَى وأَهَمِّيَّة مَعْرِفَة النَّفس ..

وَنَبْدَأ ببَعْض مِنْ كَلاَم سَيِّدِنَا عَلِيّ – كَرَّم اللَّه وَجْهَه – إذْ يَقُول :

– اعْرِفْ نَفْسَكَ تَعْرِفْ رَبَّكَ[١] .

– مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ لَمْ يَعْرِفْ رَبَّه[٢] .

– الْعَارِفُ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا وَنَزَّهَهَا عَنْ كُلِّ مَا يُبْعِدُهَا[٣] .

– الْمَعْرِفَةُ بِالنَّفْسِ أَنْفَعُ الْمَعْرِفَتَيْنِ[٤][٥] .

---

(١) ذَكَرَه ابن عطيَّة في الْمُحَرَّر الْوَجِيز ٥/٢٦٥ والثَّعَالِبِيّ في الْجَوَاهِر الْحِسَان ٤/٢٨٧ وإسْمَاعِيل حَقِّيّ في رُوح الْبَيَان ٩/٤١٤

(٢) ذَكَرَه ابن عطيَّة في الْمُحَرَّر الْوَجِيز ٥/٢٦٥ والثَّعَالِبِيّ في الْجَوَاهِر الْحِسَان ٤/٢٨٧

(٣) غُرَر الْحِكَم ودُرَر الْكَلِم لِنَاصِح الدِّين الآمديّ (١٧٨٨) .

(٤) غُرَر الْحِكَم (١٦٧٥) .

(٥) قال الطَّبَاطَبَائِيّ : الظَّاهِر أنّ الْمُرَاد بالْمَعْرِفَتَيْن : الْمَعْرِفَة بالآيات الأَنْفُسِيَّة والْمَعْرِفَة بالآيات الآفاقِيَّة ؛ قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ..

وكَوْن السَّيْر الأَنْفُسِيّ أَنْفَعُ مِن السَّيْر الآفاقِيّ لَعَلَّه لِكَوْن الْمَعْرِفَة النَّفْسَانِيَّة لا تَنْفَكّ عادةً مِنْ إصلاح أوصافِهَا وأعمالِهَا ، بِخِلاَف الْمَعْرِفَة الآفاقِيَّة ... =

= ثُمّ قال : فَتخَلّص مِمّا ذَكَرْنَا أنّ النّظَر في الآيات الأنْفُسيّة والآفاقِيّة ومعرفة اللّه سُبْحَانه بهَا يُهْدَى الإنسانُ إلى التّمسُّك بالدّين الْحَقّ والشّريعَة الإلَهيّة مِنْ جهَة تَمْثِيل الْمَعْرِفَة الْمَذْكُورَة الْحَيَاةَ الإنسانيّةَ الْمُؤَبّدَةَ له عِنْد ذَلِك وتَعَلُّقهَا بالتّوْحِيد والْمَعَاد والنّبُوّة ، وهَذِه هداية إلى الإيمان والتّقْوَى يَشْتَرك فِيهَا الطّرِيقَان معاً : أعني طَرِيقَي النّظَر إلى الآفاق والأنْفُس ، فَهُمَا نافِعَان جَمِيعاً ، غَيْرَ أنّ النّظَر إلى آيات النّفس أنْفَعُ ؛ فإنّه لا يَخْلُو مِنَ الْعُثُور على ذات النّفس وقُوَاهَا وأدَوَاتِهَا الرُّوحِيّة والْبَدَنيّة وما يَعْرضُهَا مِنَ الاعتدال في أمْرِهَا أو طُغْيَانهَا أو خُمُودِهَا والْمَلَكَات الْفَاضِلَة أو الرّذِيلَة والأحوال الْحَسَنَة أو السّيّئَة التي تُقَارِنُهَا ، واشتغال الإنسان بمَعْرِفَة هَذِه الأمور والإذعان بمَا يَلْزَمُهَا مِنْ أمْن أو خَطَر وسعادة أو شقاوة لا يَنْفَكّ مِنْ أنْ يُعَرّفَه الدّاءَ والدّوَاء مِنْ مَوْقِف قَرِيب فَيَشْتَغِل بإصلاح الْفَاسِد مِنْهَا والالتزام بصَحِيحِهَا ، بخِلاَف النّظَر في الآيات الآفاقِيّة ؛ فإنّه وإنْ دَعَا إلى إصلاح النّفْس وتَطْهِيرِهَا مِنْ سَفَاسِف الأخلاق ورَذَائلِهَا وتَحْلِيَتِهَا بالْفَضَائل الرُّوحِيّة لَكِنّه يُنَادِي لِذَلِك مِنْ مكان بَعِيد ، وهو ظاهِر .

ولِلرّوَايَة مَعْنىً آخرُ أدَقّ مُسْتَخرَجٌ مِنْ نتائج الأبْحَاث الْحَقِيقِيّة في عِلْم النّفْس : وهو أنّ النّظَر في الآيات الآفاقِيّة والْمَعْرِفَة الْحَاصِلَة مِنْ ذَلِك نَظَر فِكْرِيّ وعِلْم حُصُولِيّ ، بخِلاَف النّظَر في النّفس وقُوَاهَا وأطوار وجودِهَا والْمَعْرِفَة الْمُتَجَلّيَة مِنْهَا ؛ فإنّه نَظَر شُهُودِيّ وعِلْم حُضُورِيّ ، والتّصْدِيق الْفِكْرِيّ يَحْتَاج في تَحَقُّقِه إلى نَظْم الأقْيِسَة واستعمال الْبُرْهَان ، وهو باقٍ ما دام الإنسان مُتَوَجِّهاً إلى مُقَدّمَاتِه غَيْرَ ذاهِل عَنْهَا ولا مُشْتَغِل بغَيْرِهَا ، ولِذَلِك يَزُول الْعِلْم بزَوَال الإشراف على دَلِيلِه وتَكْثُر فيه الشُّبُهَات ويَثُور فيه الاختلاف ..

وهَذَا بخِلاَف الْعِلْم النّفْسَانِيّ بالنّفس وقُوَاهَا وأطوار وجودِهَا ؛ فإنّه مِنَ الْعِيَان ، فإذَا اشْتَغَل الإنسان بالنّظَر إلى آيات نَفْسه وشاهَد فَقْرَهَا إلى رَبّهَا وحاجَتَهَا في جَمِيع أطوار وجودِهَا وَجَد أمراً عَجِيباً : وَجَد نَفْسَه مُتَعَلّقَةً بالْعَظَمَة والْكِبْرِيَاء ، مُتّصِلَةً في وجودِهَا وحياتِهَا وعِلْمِهَا وقُدْرَتِهَا وسَمْعِهَا وبَصَرِهَا وإرادتِهَا وحُبّهَا وسائر صِفَاتِهَا وأفعالِهَا بمَا لا يَتَنَاهَى بَهَاءً وسناءً وجَمَالاً وجَلاَلاً وكَمَالاً مِنَ الْوُجُود والْحَيَاة والْعِلْم والْقُدْرَة وغَيْرِهَا مِنْ كُلّ كَمَال ، وشاهَد ما تَقَدّم بَيَانُه أنّ النّفس الإنسانيّة لا شَأْنَ لَهَا إلاّ في نَفْسِهَا ، ولا مَخْرَجَ لَهَا مِنْ نَفْسِهَا ، ولا شُغْلَ لَهَا إلاّ السّيْر الاضطرارِيّ في مَسِير نَفْسِهَا ، وأنّهَا مُنْقَطِعَة عَنْ كُلّ شَيْء كانَتْ تَظُنّ أنّهَا مُجْتَمِعَة معه مُخْتَلِطَة به إلاّ رَبّهَا الْمُحِيط بباطِنِهَا وظاهِرِهَا وكُلّ شَيْء دُونَهَا ، فَوَجَدَتْ أنّهَا دائماً في خَلاَء مع رَبّهَا وإنْ كانَتْ في ملإ مِنَ النّاس ، وعِنْد ذَلِك تَنْصَرِف عَنْ كُلّ شَيْء وتَتَوَجّه إلى رَبّهَا وتَنْسَى كُلّ شَيْء وتَذْكُر رَبّهَا ، فلا يَحْجُبُه عَنْهَا حِجَاب ولا تَسْتَتِر عَنْه بسِتْر ، وهو حَقّ الْمَعْرِفَة الذي قُدّر لإنسان ، وهَذِه الْمَعْرِفَة الأحرى بهَا أنْ تُسَمّى بـ" معرفة اللّه باللّه " .

وأمّا الْمَعْرِفَة الْفِكْرِيّة التي يُفِيدُهَا النّظَر في الآيات الآفاقِيّة – سواء حَصَلَتْ مِنْ قِيَاس =

- أَفْضَلُ الْمَعْرِفَةِ مَعْرِفَةُ الإِنْسَانِ نَفْسَه[١] .
- أَفْضَلُ الحِكْمَةِ مَعْرِفَةُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَوُقُوفُهُ عِنْدَ قَدْرِهِ[٢] .
- غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ نَفْسَه[٣] .
- مَعْرِفَةُ النَّفْسِ أَنْفَعُ الْمَعَارِف[٤] .
- أَفْضَلُ الْعَقْلِ مَعْرِفَةُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ ، فَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَقَلَ ، وَمَنْ جَهِلَهَا ضَلّ[٥] .
- نَالَ الْفَوْزَ الأَكْبَرَ مَنْ ظَفِرَ بِمَعْرِفَةِ النَّفْس[٦] .
- كَفَى بِالْمَرْءِ مَعْرِفَةً أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَه[٧] .
- مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ كَانَ لِغَيْرِهِ أَعْرَفَ ، وَمَنْ جَهِلَ نَفْسَهُ كَانَ بِغَيْرِهِ أَجْهَل[٨] .
- كَيْفَ يَعْرِفُ غَيْرَهُ مَنْ يَجْهَلُ نَفْسَه ؟![٩] .
- لاَ تَجْهَلْ نَفْسَكَ ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ مَعْرِفَةَ نَفْسِهِ جَاهِلٌ بِكُلِّ شَيْءٍ[١٠] .

= أو حَدْس أو غَيْر ذَلِك – فإنَّمَا هي معرفة بصورة ذهنيَّة عَنْ صورة ذهنيَّة ، وجَلَّ الإله أنْ يُحيط به ذِهْن أو تُساوي ذاته صورة مُختَلَقَة اختَلَقَهَا خَلْق مِنْ خَلْقِه ولا يُحيطُون به عِلْماً ...

ثُمّ قال : فَقَدْ تَحصَّل أنَّ النَّظَر في آيات الأنْفُس أنْفَسُ وأَغْلَى قِيمَةً ، وأنَّه هو الْمُنتِج لِحَقِيقَة الْمَعْرِفَة فَحَسْب ، وعلى هذا فَعدُّه عليه السلام إيَّاها أَنْفَعَ الْمَعْرِفَتَيْن – لا مَعْرِفَةً مُتَعَيِّنَةً – إنَّمَا هو لأنَّ الْعَامَّة مِنَ النَّاس قاصِرُون عَنْ نَيْلِهَا ، وقَدْ أَطْبَق الْكِتَاب والسُّنَّة وجَرَتِ السِّيرَة الطَّاهِرَة النَّبويَّة وسِيرَة أَهْل بَيْته الطَّاهِرين على قَبُول مَنْ آمَن باللّه عَنْ نَظَر آفاقِيّ ، وهو النَّظَر الشَّائع بَيْن الْمُؤْمنين ، فالطَّرِيقَان نافِعَان جَمِيعاً ، لَكِنَّ النَّفْع في طَرِيق النَّفْس أَتَمُّ وأَغْزَر ..

تفسير الْمِيزَان ١٦٩/٦ – ١٧٦ باختصار .

(١) غُرَر الحِكَم (٢٩٣٥) .
(٢) غُرَر الحِكَم (٣١٠٥) .
(٣) غُرَر الحِكَم (٦٣٦٥) .
(٤) غُرَر الحِكَم (٩٨٦٥) .
(٥) غُرَر الحِكَم (٣٢٢٠) .
(٦) غُرَر الحِكَم (٩٩٦٥) .
(٧) غُرَر الحِكَم (٧٠٣٦) .
(٨) غُرَر الحِكَم (٨٦٢٤) ، (٨٧٥٨) .
(٩) غُرَر الحِكَم (٦٩٩٨) .
(١٠) غُرَر الحِكَم (١٠٣٣٧) .

- عَجبْتُ لِمَنْ يَنْشُدُ ضَالَّتَهُ وَقَدْ أَضَلَّ نَفْسَهُ فَلاَ يَطْلُبُهَا[١] .
- كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ يَجْهَلَ نَفْسَه[٢] .
- مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ بَعُدَ عَنْ سَبِيلِ النَّجَاةِ وَخَبَطَ فِي الضَّلاَلِ وَالْجَهَالاَتِ[٣] .
- أَعْظَمُ الْجَهْلِ جَهْلُ الإِنْسَانِ أَمْرَ نَفْسِه[٤] .
- مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ[٥] .
- مَنْ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ لَمْ يُهِنْهَا بِالْفَانِيَاتِ[٦] .
- مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ جَلَّ أَمْرُه[٧] .
- مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ جَاهَدَهَا ، وَمَنْ جَهِلَ نَفْسَهُ أَهْمَلَهَا[٨] .
- مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدِ انْتَهَى إِلَى غَايَةِ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَعِلْم[٩] .
- مَنْ عَرَفَ اللّٰهَ تَوَحَّد .. مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ تَجَرَّد .. مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا تَزَهَّد .. مَنْ عَرَفَ النَّاسَ تَفَرَّد[١٠] .
- يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ أَنْ يَلْزَمَ الْقَنَاعَةَ وَالْعِفَّة[١١] .
- يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ أَنْ لاَ يُفَارِقَهُ الْحُزْنُ وَالْحَذر[١٢] .
- يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ أَنْ لاَ يُفَارِقَهُ الْحَذَرُ وَالنَّدَمُ ؛ خَوْفاً أَنْ تَزِلَّ بِهِ الْقَدَم[١٣] .

---

(١) غُرَر الْحِكَم (٦٢٦٦) .
(٢) غُرَر الْحِكَم (٧٠٣٧) .
(٣) غُرَر الْحِكَم (٩٠٣٤) .
(٤) غُرَر الْحِكَم (٢٩٣٦) .
(٥) غُرَر الْحِكَم (٩٠٣٣) .
(٦) غُرَر الْحِكَم (٨٦٢٨) .
(٧) غُرَر الْحِكَم (٨٠٠٧) .
(٨) غُرَر الْحِكَم (٧٨٥٥) ، (٧٨٥٦) .
(٩) غُرَر الْحِكَم (٨٩٤٩) .
(١٠) غُرَر الْحِكَم (٧٨٢٩) - (٧٨٣٢) .
(١١) غُرَر الْحِكَم (١٠٩٢٧) .
(١٢) غُرَر الْحِكَم (١٠٩٣٧) .
(١٣) غُرَر الْحِكَم (١٠٩٥٢) .

- يَنْبَغِي لِمَنْ عَلِمَ شَرَفَ نَفْسِهِ أَنْ يُنَزِّهَهَا عَنْ دَنَاءَةِ الدُّنْيَا[١] .
- أَكْثَرُ النَّاسِ مَعْرِفَةً لِنَفْسِهِ أَخْوَفُهُمْ لِرَبِّه[٢] [٣] .
- عَجِبْتُ لِمَنْ يَجْهَلُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّه ؟![٤] .
- ورُوِي عَنْ كُمَيْل بن زِيَاد قال : سَأَلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين عَلِيّاً ﷺ قُلْتُ : أُرِيد أَنْ تُعَرِّفَنِي نَفْسِي ..

قال: يَا كُمَيْلُ .. أَيَّ نَفْسٍ تُرِيد ؟

قُلْتُ : يا مولاي .. هَلْ هي إلاَّ نَفْس واحدة ؟!

فقال : يَا كُمَيْلُ .. إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعٌ : النَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ ، وَالْحِسِّيَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ ، وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ ، وَالْكُلِّيَّةُ الإِلَهِيَّةُ ..

وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِه خَمْسُ قُوىً وَخَاصِيَّتَانِ ..

فَالنَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوىً : مَاسِكَةٌ ، وَجَاذِبَةٌ ، وَهَاضِمَةٌ ، وَدَافِعَةٌ ، وَمُرَبِّيَةٌ .

وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ : الزِّيَادَةُ ، وَالنُّقْصَانُ .

وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الْكَبِدِ ، وَهِيَ أَشْبَهُ الأَشْيَاء بِنَفْسِ الْحَيَوَانِ .

وَالْحِسِّيَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوىً : سَمْعٌ ، وَبَصَرٌ ، وَشَمٌّ ، وَذَوْقٌ ، وَلَمْسٌ .

وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ : الرِّضَا ، وَالْغَضَبُ .

وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الْقَلْب ، وَهِيَ أَشْبَهُ الأَشْيَاء بِنَفْسِ السِّبَاعِ .

وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوىً : فِكْرٌ ، وَذِكْرٌ ، وَعِلْمٌ ، وَحِلْمٌ ، وَنَبَاهَةٌ .

وَلَيْسَ لَهَا انْبِعَاثٌ ، وَهِيَ أَشْبَهُ الأَشْيَاء بِالنُّفُوسِ الْمَلَكِيَّةِ .

وَلَهَا خَاصِيَّتَانِ : النَّزَاهَةُ ، وَالْحِكْمَةُ .

---

(١) غُرَر الْحِكَم (١٠٩٣٠) .

(٢) غُرَر الْحِكَم (٣١٢٦) .

(٣) يَقُول حُجَّة الإسلام الْغَزَالِيّ : وبحَسَب مَعْرِفَتِه بعُيُوب نَفْسه ومَعْرِفَتِه بجَلاَل اللّه تعالى واسْتِغْنَائِه وأنّه لا يُسْئَل عمّا يَفْعَل وهُمْ يُسْئَلون تَكُون قُوّة خَوْفه ؛ فَأَخْوَفُ النّاس لِرَبِّه أَعْرَفُهُمْ بنَفسه وبربِّه ، ولِذَلِك قال ﷺ ﴿ أَنَا أَخْوَفُكُمْ لِلّه ﴾ .. إحياء علوم الدِّين ٤/١٥٥ ، ١٥٦

(٤) غُرَر الْحِكَم (٦٢٧٠) .

وَالْكُلِّيَّةُ الإِلَهِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوىً : بَقَاءٌ فِي فَنَاءٍ ، وَنَعِيمٌ فِي شَقَاءٍ ، وَعِزٌّ فِي ذُلٍّ ، وَفَقْرٌ فِي غِنَاءٍ ، وَصَبْرٌ فِي بَلاَءٍ .

وَلَهَا خَاصِّيَّتَانِ : الرِّضَا ، وَالتَّسْلِيمُ .

وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي مَبْدَؤُهَا مِنَ اللَّهِ وَإِلَيْهِ تَعُود .

– وَمِنْ دُعَاءِ الإِمامِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ﷺ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ عَرَفُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَيْقَنُوا بِمُسْتَقَرِّهِمْ فَكَانَتْ أَعْمَارُهُمْ فِي طَاعَتِكَ تَفْنَى(١) .

– وقال الإمام مُحَمَّد الْبَاقِر ﷺ : لا مَعْرِفَةَ كَمَعْرِفَتِك بِنَفْسك(٢) .

– وقال الإمام جَعْفَر الصَّادِق ﷺ : عِرْفَانُ الْمَرْءِ نَفْسَه : أَنْ يَعْرِفَهَا بِأَرْبَع طبائع وأَرْبَع دعائم وأَرْبَعَة أركان ..

فطبائعه : الدَّم ، والمِرَّة ، والرِّيح ، والْبَلْغَم .

ودعائمه : الْعَقْل ، ومِنَ الْعَقْلِ الْفَهْمُ والْحِفْظُ .

وأركانه : النُّور ، والنَّار ، والرُّوح ، والْمَاء(٣) .

– وقال الإمام أبو حنيفة ﷺ : الْفِقْه مَعْرِفَة النَّفْسِ ما لَهَا ومَا عَلَيْهَا(٤) .

– وسُئِل سَهْل بن عَبْد اللَّه التُّسْتَرِيّ ﷺ عَنْ قَوْلِه ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ فَقَال : مَنْ عَرَف نَفْسَه لِرَبِّه عَرَف رَبَّه لِنَفْسه(٥) .

– وقال عَبْد اللَّه بن الْمُبَارَك ﷺ : قَدْ أَكْثَر النَّاس في الأدب ، ونَحْن نَقُول : هو مَعْرِفَة النَّفْس(٦) .

– وقال سَيِّدِي أَحْمَد الرِّفَاعِيّ ﷺ : سَبَب مَعْرِفَة الْعَبْدِ رَبَّه مَعْرِفَة الْعَبْد نَفْسَه ؛ ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ ، مَنْ عَرَف نَفْسَه لِرَبِّه أَفْنَى كُلِّيَّتَه بِرَبِّه(٧) .

---

(١) الصَّحِيفَة السَّجَادِيَّة /٤٧٥

(٢) انْظُرْ تُحَف الْعُقُول عَنْ آل الرَّسُول لِلْحَسَن بن عَلِيّ بن الْحُسَيْن الْحَرَّانِيّ الْحَلَبِيّ /٩٨

(٣) انْظُرْ تُحَف الْعُقُول /١٢٣

(٤) انْظُر : الْمَنْثُور لِلزَّرْكَشِيّ ٣/١ ومرآة الأصول ١/٤٤ والتَّوْضِيح لِمَتْن التَّنْقِيح ١/١٠

(٥) انْظُرْ حِلْيَة الأولياء ٢٠٨/١٠

(٦) انْظُر الرِّسَالَة الْقُشَيْرِيَّة /١٢٩

(٧) الْبُرْهَان الْمُؤَيِّد /٤٨

- وقال حُجَّة الإسلام الْغَزَالِيّ ﷺ : اعْلَمْ أنَّا وإنْ تَدرَّجْنا إلى معرفة ذاتِه وصِفَاتِه مِنْ معرفة النَّفس فَذَلِك على سَبِيل الاستدلال ؛ وإلاّ فالله تعالى مُنزَّه عَنْ جَمِيع صفات الْمَخْلُوقَات فلا يُوصَف ؛ جَلّ أنْ يُوصَف ، وجَلّ أنْ يُقَال " جَلّ " ، وعَزّ أنْ يُقَال " عَزّ " ، وأكْبَر أنْ يُقَال " أكْبَر " ، وإذَا بَلَغ الْكَلاَم إلى اللّه تعالى فأَمْسكُوا ﴿لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسك﴾ ، وفَوْق ما يَصِفُه الْوَاصِفُون ، فلك الْعُلُوّ الأعلى فَوْق كُلّ عالٍ ، والْجَلاَل الأَمْجَد فَوْق كُلّ جَلاَل ، ضَلَّتْ فِيك الصِّفَات ، وتَقَدَّسَتْ دُونَك النُّعُوت ، وحارَتْ في كِبْرِيَائك لَطَائفُ الأوهام ..

وهَذِه كَلِمَات الأبرار الْمُصْطَفَيْن الأخيار ، وهَذَا دَلِيل على أنَّه لا يَجُوز أنْ يُقَال في حَقّه ما يَجُرّ نَفْعاً أو يَدْفَع ضَرّاً أو يَجْلِب سُرُوراً أو يُوجِب لَذَّةً وابتهاجاً أو يُحْدِث فرحاً وضَحِكاً أو يُورِث عشقاً ومَحَبَّةً ، تعالى عَنْ ذلك عُلُوّاً كَبِيراً ، وما وَرَد مِنْ هَذِه الألفاظ في الْقُرْآن والأخبار فَتُفَسَّر بِثَمَرَاتِهَا ونِهَايَاتِهَا لا بِعَوَارِضِهَا ومَبَادِيهَا[1] .

- وقال ﷺ أيضاً : فَصْل في معرفة النَّفْس :

اعْلَمْ أنّ مِفْتَاح معرفة اللّه تعالى هو معرفة النَّفْس كَمَا قال ﷻ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ ، وقال النَّبيّ ﷺ ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ ، ولَيْس شَيْء أَقْرَب إليك مِنْ نَفْسك ، فإذَا لَمْ تَعْرِفْ نَفْسَك فَكَيْف تَعْرِف رَبَّك ؟!

فإنْ قُلْتَ :" إنِّي أَعْرِف نَفْسِي " فإنَّمَا تَعْرِف الْجِسْمَ الظَّاهِرَ الذي هو الْيَد والرِّجْل والرَّأس والْجُثَّة ، ولا تَعْرِف ما في باطِنك مِنَ الأمر الذي به إذَا غَضِبْتَ طَلَبْتَ الْخُصُومَة وإذَا اشْتَهَيْتَ طَلَبْتَ النِّكَاح وإذَا جُعْتَ طَلَبْتَ الأَكْل وإذَا عَطِشْتَ طَلَبْتَ الشُّرْب ، والدَّوَابّ تُشَارِكُك في هَذِه الأمور ..

فالْوَاجب عَلَيْك أنْ تَعْرِف نَفْسَك بالْحَقِيقَة ؛ حَتَّى تُدْرِك أيّ شَيْء أنْت ومِنْ أيْن جِئْتَ إلى هَذَا الْمَكَان ولأيّ شَيْء خُلِقْتَ وبأيّ شَيْء سعادَتُك وبأيّ شَيْء شقاؤك .

وقَدْ جَمَعْتَ في باطِنك صفات : مِنْهَا صفات الْبَهائم ، ومِنْهَا صفات السِّبَاع ،

(١) مَعَارِج الْقُدْس في مَدَارِج مَعْرِفَة النَّفس /١٦٨ ، ١٦٩

ومِنهَا صفات الشَّيَاطِين ، ومِنهَا صفات الْمَلاَئكَة ..

فالرُّوح حقيقة جَوْهَرك ، وغَيْرُهَا غَرِيب مِنك وعارِيَة عِنْدَك .

فالْوَاجِب عَلَيْك أنْ تَعرِف هَذَا ، وتَعْرِف أنّ لِكُلّ واحِد مِنْ هؤلاء غِذَاءً وسعادةً ..

فإنّ سعادة الْبَهَائم في الأكْل والشُّرْب والنَّوْم والنّكَاح ، فإنْ كُنتَ مِنهُمْ فاجْتَهِدْ في أعمال الْجَوْف والْفَرْج .

وسعادة السِّبَاع في الضَّرْب والْفَتْك .

وسعادة الشَّيَاطِين في الْمَكْر والشّرّ والْحِيَل ، فإنْ كُنتَ مِنهُمْ فاشْتَغِلْ باشْتِغَالِهِمْ .

وسعادة الملائكة في مُشاهَدَة جَمَال الْحَضْرَة الرُّبُوبِيَّة ، ولَيْس لِلْغضب والشَّهْوَة إلَيْهِمْ طَرِيق ، فإنْ كُنتَ مِنْ جَوْهَر الْمَلاَئكَة فاجْتَهِدْ في مَعْرِفَة أصْلِك ؛ حَتَّى تَعْرِف الطَّرِيقَ إلى الْحَضْرَة الإلَهِيَّة وتَبْلُغ إلى مُشاهَدَة الْجَلاَل والْجَمَال وتُخَلِّص نَفْسَك مِنْ قَيْد الشَّهْوَة والْغَضب وتَعْلَم أنّ هَذِه الصِّفَات لأيّ شَيْء رُكِّبَتْ فِيك ؛ فَمَا خَلَقَهَا اللّه تعالى لِتَكُون أسِيرَهَا ، ولَكِنْ خَلَقَهَا حَتَّى تَكُون أُسَرَاك وتُسَخِّرَهَا لِلسَّفَر الذي قُدَّامَك وتَجْعَل إحْدَاهَا مَرْكَبَك والأخرى سِلاَحَك حَتَّى تَصِيد بِهَا سَعَادَتَك ، فإذَا بَلَغتَ غَرَضَك فَقَاوِمْ بِهَا تَحْت قَدَمَيْك ، وارْجعْ إلى مَكَان سَعَادَتِك ، وذَلِك الْمَكَان قَرَار خَوَاصّ الْحَضْرَة الإلَهِيَّة ، وقَرَار الْعَوَامّ دَرَجَات الْجَنَّة .

فَتَحْتَاج إلى مَعْرِفَة هَذِه الْمَعَاني حَتَّى تَعْرِف مِنْ نَفْسك شَيْئاً قَلِيلاً ؛ فَكُلّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذِه الْمَعَاني فَنَصِيبُه مِنَ الْقُشُور ؛ لأنّ الْحَقّ يَكُون عَنْه مَحْجُوباً .

فَصْل : كَيْف تَعْرِف نَفْسَك ؟

إذَا شِئْتَ أنْ تَعْرِف نَفْسَك فَاعْلَمْ أنّك مِنْ شَيْئَيْن :

الأوَّل : هَذَا الْقَلْب .

والثّاني : يُسَمَّى " النَّفْس " و" الرُّوح " .

والنَّفْس هو الْقَلْب الذي تَعْرِفُه بِعَيْن الْبَاطِن ، وحَقِيقَتُك الْبَاطِن ؛ لأنّ الْجَسَد أوَّل وهو الآخِر ، والنَّفْس آخِر وهو الأوَّل ، ويُسَمَّى " قَلْباً " .

ولَيْس الْقَلْب هَذِه الْقِطْعَة اللَّحْمِيَّة التي في الصَّدْر مِنَ الْجَانب الأيْسَر ؛ لأنّه يَكُون في الدَّوَابّ والْمَوْتَى ، وكُلّ شَيْء تُبْصِرُه بِعَيْن الظَّاهِر فَهُو مِنْ هَذَا الْعَالَم

الذي يُسَمَّى " عالَم الشَّهَادَة " ..

وأمَّا حَقِيقَة الْقَلْب : فَلَيْس مِنْ هَذَا الْعَالَم ، لَكِنَّه مِنْ عالَم الْغَيْب ، فَهُو في هَذَا الْعَالَم غَرِيب ، وتِلْك الْقِطْعَة اللَّحْمِيَّة مُرَكَّبَة ، وكُلّ أعضاء الْجَسَد عساكِرُه وهو الْمَلِك ، ومعرفة اللَّه ومُشَاهَدَة جَمَال الْحَضْرَة صِفَاتُه ، والتَّكْلِيف عَلَيْه ، والْخِطَاب معه ، وله الثَّوَاب ، وعَلَيْه الْعِقَاب ، والسَّعَادَة والشَّقَاء تَلْحَقَانه ، والرُّوح الْحَيَوَانِيّ في كُلّ شَيْء تَبَعُه ومعه[١] .

– وقال حُجَّة الإسلام الْغَزَالِيّ ﷺ : فَصْل : النَّفْس مُخْتَصَرَة مِنَ الْعَالَم :

واعْلَمْ أنّ نَفس ابْن آدَم مُخْتَصَرَة مِنَ الْعَالَم ، وفِيهَا مِنْ كُلّ صُورَة في الْعَالَم أَثر مِنْه ؛ لأنّ هَذِه الْعِظَام كالْجِبَال ، ولَحْمُه كالتُّرَاب ، وشَعْرُه كالنَّبَات ، ورأْسُه كالسَّمَاء ، وحَوَاسُّه مِثْل الْكَوَاكِب ، وتَفْصِيل ذَلِك طَوِيل .

وأيضاً : فإنّ في باطِنه صُنَّاع الْعَالَم ؛ لأنّ الْقُوَّة في الْمَعِدَة كالطَّبَّاخ ، والتي في الْكَبِد كالْخَبَّاز ، والتي في الأمعاء كالْقَصَّار[٢] ، والتي تُبَيِّض اللَّبَنَ وتُحَمِّر الدَّمَ كالصَّبَّاغ ، وشَرْح ذَلِك يَطُول .

والْمَقْصُود أنْ تَعْلَم كَمْ في باطِنك مِنْ عَوَالِم مُخْتَلِفَة كُلُّهُمْ مشغولُون بخِدْمَتِك وأنْت في غفلة عَنْهُمْ ، وهُمْ لا يَسْتَرِيحُون ، ولا تَعْرِفُهُمْ أنْت ولا تَشْكُر مَنْ أنْعَم عَلَيْك بِهِمْ[٣] !!

– وقال ﷺ أيضاً : إذْ لا يَعْرِف رَبَّه إلاّ مَنْ عَرَف نَفْسَه[٤] .

– وقال الشَّيْخ الأكبر ابن عَرَبِيّ ﷺ : مَنْ لَمْ يَمُتْ بِحِسِّهِ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَه[٥] .

– وقال الشَّيْخ أرْسلان ﷺ : إذَا أَفْنَاك عَنْ هَوَاك بالْحِكْمَة وعَنْ إرَادَتِك بالْعِلْم صِرْتَ عَبْداً صِرْفاً لاَ هَوَى لك ولا إرَادَة ، فَحِينَئِذٍ يَكْشِف لك عَنْ نَفسك

(١) كِيمْيَاء السَّعَادَة /٥ ، ٦

(٢) هو الْمُبَيِّض لِلثِّيَاب الْمُحَوِّر لَهَا ، وذَلِك بتَهْيِئَة النَّسِيج بَعْد نَسْجه بِبَلّه ودَقّه بالْقَصَرَة : وهي خَشَبَة أُعِدَّتْ لِذَلِك .

(٣) كِيمْيَاء السَّعَادَة /١٠

(٤) مِشْكَاة الأنْوَار /١٢

(٥) راجِعْ حِكَمَ الشَّيْخ الأكبر كاملةً في كِتَابِنَا جَوَامِع الْكَلِم مِنْ جَوَاهِر مَجَامِع الْحِكَم .

فَتضْمَحِلّ الْعُبُودِيَّة في الْوَحْدَانيَّة ، فَيَفْنَى الْعَبْد ويَبْقَى الرَّبّ تعالى[١] .

وقال الشَّيْخ مصطفى الْبَكْرِيّ ﷺ :

- بِمُرَاقَبَة النَّفْس تَقِف عَلَى الأَنْفَس .

- بِمَعْرِفَتِك لِنَفسك تَثْبُت مَعْرِفَتُك له وتُطْلَق مِنْ حَبْسِك[٢] .

وقال الشَّيْخ الْعَلاَوِيّ ﷺ :

- الْعَارِفُون طَبَقَات : عَارِف بِرَبِّه ، وعَارِف بِنَفْسِه ، إلاَّ أنّ الْعَارِف بِنَفْسِه أَشَدُّ مَعْرِفَةً مِنَ الْعَارِف بِرَبِّه .

- الْمَحْجُوبُون طَبَقَات : مَحْجُوب عَنْ رَبِّه ، ومَحْجُوب عَنْ نَفْسِه ، إلاّ أنّ الْمَحْجُوب عَنْ نَفْسه أَشَدُّ حِجَاباً مِنَ الْمَحْجُوب عَنْ رَبِّه .

- مَنْ عَرَف اللَّهَ في نَفْسه رَجَع إِلَيْهَا واتَّبع مَرْضَاتَهَا .

- مَنْ طَلَب اللَّهَ في غَيْرِ نَفْسه أَضَلَّ سَبِيلَه مِنْ حَيْث أَرَاد .

- لاَ تَتْرُكْ نَفْسَك وتُعَادِيهَا ، بَلِ اصْحَبْهَا وابْحَثْ عَمَّا فِيهَا[٣] .

- فَأَنْت أَيُّهَا الْعَبْد جاهِل بنَفسك وبأَصْلِك ، فكَيْف تَطْلُب مَعْرِفَةَ رَبِّك ؟! فَكَان مِنْ حقِّك أنْ تَطْلُب مَعْرِفَةَ نَفْسك وتَتَحقَّق بأَصْلك ثُمّ تَلْتَفِت لِمَا سِوَى ذَلِك[٤] .

- وحاصِل الأمر .. أنّ في مَعْرِفَة النَّفْس خَيْراً كثيراً ؛ لِمَا قيل " مَنْ عَرَف نَفْسَه فَقَدْ عَرَف رَبَّه " ، ومَعْرِفَة اللَّه لا تَبْعُد مِنْ مَعْرِفَة النَّفْس ، بَلْ هي مُنْطَوِيَة فِيهَا في الْغَالِب إنْ لَمْ نَقُلْ : لا تُوجَد فِي الْخَارِج عَنْهَا .. نَعَمْ قُلْتُ : الْعَارِفُون طَبَقَات : عَارِف بِرَبِّه وعَارِف بِنَفسه ، إلاَّ أنّ الْعَارِف بنَفسه أَشَدُّ مَعْرِفَةً مِنَ الْعَارِف بِرَبِّه ؛ لِمَا في بَعْض الأحاديث ﴿ أَشَدُّكُمْ مَعْرِفَةً بِنَفْسِهِ أَشَدُّكُمْ مَعْرِفَةً بِرَبِّه ﴾ ، ومَنْ عَرَفَهَا لا مَحَالَةَ يَصْرِفُهَا فِيمَا خُلِقَتْ لأَجْله[٥] .

---

(١) راجِعْ رسالةَ الشَّيْخ أرسلان كاملةً في كِتَابِنَا جَوَامِع الْكَلِم مِنْ جَوَاهِر مَجَامِع الْحِكَم .

(٢) راجِعْ حِكَمَ الشَّيْخ مصطفى الْبَكْرِيّ كاملةً في كِتَابِنَا جَوَامِع الْكَلِم مِنْ جَوَاهِر مَجَامِع الْحِكَم .

(٣) راجِعْ حِكَمَ الشَّيْخ الْعَلاَوِيّ كاملةً في كِتَابِنَا جَوَامِع الْكَلِم مِنْ جَوَاهِر مَجَامِع الْحِكَم .

(٤) الْمِنَح الْقُدُّوسِيَّة في شَرْح الْمُرْشِد الْمُعِين بِطَرِيق الصُّوفِيَّة /٣٩

(٥) الْمِنَح الْقُدُّوسِيَّة /١٨٤

- وقال بُرْهَان الدِّين الْبقَاعِيّ ﷺ : رَأس الْفِسْق الْجَهْل بالله ، ورَأس الْعِلْم ومِفْتَاح الْحِكْمَة مَعْرِفَة النَّفس ، فَأَعْرَفُ النَّاس بِنَفْسه أَعْرَفُهُمْ بِرَبِّه(١) .

- وقال الشَّيْخ إسْمَاعِيل حَقِّيّ ﷺ : وإنَّمَا تَتَوَلَّد مَعْرِفَة اللَّه مِنْ مَعْرِفَة النَّفْس بَعْد تَزْكِيَتِهَا(٢) .

وقَبْل أنْ نَبْدَأ في رسالة الشَّيْخ الأكبر ﷺ أُلفِت نَظَرَ الْقَارِئ الْعَزِيز إلى أَهَمِّيَّة الْحِرْص عِنْد قِرَاءَتِهَا ؛ إذْ أنَّهَا تَحْتَوِي على بَعْض الْجُمَل والْعِبَارَات التي قَدْ تُوهِم الْحُلُولَ أو الاتِّحَادَ ، وهُمَا مُعْتَقَدَان لِطَوَائف مِنْ فِرَق الزَّيْغ والضَّلَال أَعَاذَنَا اللَّه مِنهُمَا ، والشَّيْخ مُحْيِي الدِّين ﷺ هو أَحَد الأكابر الأعلام الذين ذَكَرُوا عَقِيدَتَهُمْ الصَّافِيَةَ النَّقِيَّةَ الْخَالِيَةَ مِنْ أيّ شُبْهَة الْمُلْجِمَة لِكُلّ مُنْكِر أو حاسِد أو مُعَانِد ، وهو أَوْلَى النَّاس بالْبُعْد عَنْ دَعَاوَى الْحُلُول أو الاتِّحَاد ، ومَنْ أَرَاد مَعْرِفَة تِلْك الْعَقِيدَة فَلْيُطَالِعْ مُقَدِّمَة كِتَابه الْبَدِيع " الْفُتُوحَات الْمَكِّيَّة " ..

وقَدْ أَشَار الشَّيْخ الأكبر في رسالتِه الْوُجُودِيَّة هَذِه إلى نَفْي الْحُلُول والاتِّحَاد - حَتَّى لا يَتَوَهَّم ذلك مُتَوَهِّم - فقال ﷺ : فلا أَوَّلَ ولا آخِرَ ولا ظَاهِرَ ولا بَاطِنَ بلا صَيَرَان هَذِه الْحُرُوف وُجُودَه وصَيَرَان وجودِه هذه الْحُرُوف ، فَافْهَمْ هَذَا لِئَلاَّ تَقَع في غَلَط الْحُلُولِيَّة ، لا هو في شَيْء ، ولا شَيْءَ فيه لا داخلاً ولا خارجاً(٣) .

وقال ﷺ في " الْفُتُوحَات الْمَكِّيَّة : ما قال بالاتِّحَاد إلاَّ أَهْل الإلْحَاد(٤) .

وقال : ومَنْ قال بالْحُلُول فَهُو مَعْلُول(٥) .

وكَلَام الصُّوفِيَّة عَوْرَة على غَيْر أَهْلِه ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْل الذَّوْق لا يُمْكِنُه أنْ يَسْتَسِيغ كَلَامَ الْقَوْم ، ولِذَا فَمَنْ كان صاحِبَ ذَوْق حَسَنَ الظَّنّ والْفَهْم واسِعَ الإدراك فَلْيُطَالِعْ رِسَالَةَ الشَّيْخ الأكبر ﷺ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِك فَإنَّ رسالة الْحَافِظ السُّيُوطِيّ ﷺ كافِيَة شافِيَة وافِيَة بالْمَقْصُود .

---

(١) نَظْم الدُّرَر ٥٣٥/٧

(٢) رُوح الْبَيَان ٣٣٧/٧

(٣) راجعْ صفحة ٢٢ مِنْ كِتَابنَا هَذَا .

(٤) الْفُتُوحَات الْمَكِّيَّة ١١٩/٧

(٥) الْفُتُوحَات الْمَكِّيَّة ١٢٨/٧

وبَعْـدُ .. فإنّه يُرْوَى عَنْ أبي الْحَسَنَيْن سَيِّدِنَا عَلِيّ – كَرَّمَ اللّه وَجْهَه – أنّه قال :

دَوَاؤُكَ فِيـكَ وَمَـا تَشْـعُرُ   وَدَاؤُكَ مِنْـكَ وَمَـا تُبْصِـرُ
وَأَنْـتَ الْكِتَـابُ الْمُبِينُ الَّـذِي   بِأَحْرُفِـهِ يَظْهَـرُ الْمُضْـمَرُ
وَتَحْسَـبُ أَنَّـكَ جِـرْمٌ صَـغِيرٌ   وَفِيكَ انْطَـوَى الْعَـالَمُ الأَكْبَـرُ(١)

ولَنْ يَسْتَطِيع أحد أنْ يَطَّلِع على أسرار الْكَوْن وعجائبه وهو لَمْ يَفُكّ طَلْسَمَ نَفْسه ولَمْ يَطَّلِعْ على ما أَوْدَعَه اللّه تعالى فيه مِنَ الأنوار والأسرار .

وإنّ عَبْداً انْشَغَل بِمَعْرِفَة نَفْسه ولَمْ يَنْشَغِلْ بِغَيْره ولَمْ تُعِقْه الدُّنْيَا وبَهْرَجُهَا ولا الشَّيْطَان ومَكْرُه ولا الْهَوَى وفِتَنُه لَهُو الْعَبْد الصّادِق في طَلَبه لِرَبّه الْفَائز بِقُرْبه إنْ عاجلاً أو آجلاً ..

وأمّا الانْشِغَال بالدُّنْيَا وزُخْرُفِهَا وطاعة الشَّيْطَان ومُهَادَنَته واتّبَاع الْهَوَى والانْشِغَال بِالْغَيْر فهو عَلامَة الإفلاس والانتكاس والارتكاس ، ولو صَدَق الْمُشْتَغِل بِعُيُوب نَفْسه لَمَا أَمْكَنَه أنْ يَلْتَفِت إلى عُيُوب غَيْره ، كَمَا أنّه لو انْشَغَل بالتَّنْقِيب عَمّا بَطَن فيه مِنْ كُنُوز الْعُلُوم ونَفَائس الأسرار لَمَا الْتَفَت إلى غَيْر ذَلِك مِنْ لَعِب الدُّنْيَا ولَهْوِهَا وغُرُورِهَا .

والأَوْلَى بِوَعْظِك وإنْكَارِك على الْمُخَالَفَات نَفسُك التي بَيْن جَنْبَيْك ؛ فالأَقْرَبُون أَوْلَى بِالْمَعْرُوف ، وقَدْ قال اللّه تعالى لِسَيِّدِنَا عِيسَى عليه السلام : يَا عِيسَى .. عِظْ نَفْسَكَ ، فَإِنِ اتَّعَظْتَ فَعِظِ النَّاسَ ، وَإِلاَّ فَاسْتَحِ مِنِّي(٢) .

والْكَيِّس – كَمَا قال الْحَبِيب الأعظم ﷺ – مَنْ دان نَفْسَه وعَمِل لِمَا بَعْد الْمَوْت ، كَمَا أنّ الْعَاجز مَنْ أَتْبَع نَفْسَه هَوَاهَا وتَمَنّى على اللّه ﷻ .

ومَنْ أَقْبَل على اللّه تعالى أَقْبَل اللّه عَلَيْه ، ومَنْ تَقَرَّب إلَيْه تعالى شِبْراً تَقَرَّب اللّه إلَيْه ذِرَاعاً ، ومَنْ تَقَرَّب إلَيْه ذِرَاعاً تَقَرَّب إلَيْه باعاً ، ومَنْ أَتَاه يَمْشِي أَتَاه هَرْوَلَة .

والسَّائر إلى مَوْلاَه لا يَكِلّ ولا يَمَلّ حَتّى يَصِل إلى مُرَادِه ومُبْتَغَاه ، ولا يَرْضَى بَدِيلاً سِوَاه .

---

(١) انْظُر : الْبُرْهَان الْمُؤَيَّد /٥٥ ورُوح الْمَعَانِي ٧٩/١ ودِيوَان الإمام عَلِيّ /٥٧

(٢) رَوَاه الإمام أَحْمَد في الزُّهْد /٣١٤٥٤ وأبو نُعَيْم ٣٨٢/٢ وابن أَبِي الدُّنْيَا في الأَمْر بِالْمَعْرُوف والنَّهْي عَنِ الْمُنْكَر /٩٨

عَمَلِي فِي هَذَا الْكِتَاب

* قُمْتُ بعَمَل مُقدِّمَة مُختصَرَة بَيَّنْتُ فِيهَا أَهَمِّيَّةَ مَوْضُوع الْكِتَاب الذي هو مَعْرِفَة النَّفس الْمُفْضِيَة إلى مَعْرِفَة الرَّبِّ .

* قُمْتُ بِعَمَل تَرْجَمَتَيْن مُختصَرَتَيْن لِمُؤَلِّفِي الرِّسَالَتَيْن : الشَّيْخ الأكبر مُحْيِي الدِّين ابن عَرَبِيّ ﷺ ، وخَاتِمَة الْحُفَّاظ الْحَافِظ السُّيُوطِيّ ﷺ .

* قُمْتُ بِرَدِّ مَا جَاء مِنْ آيَاتٍ فِي الرِّسَالَتَيْن إِلَى أُصُولِهِمَا فِي الْمُصْحَف .

* قُمْتُ بِعَمَلِ مُقَارَنَةٍ بَيْن كُلِّ طَبَعَات الرِّسَالَتَيْن التي ظَفِرْتُ بِهَا لأُخْرِج بِنَصِّهِمَا أَصَحَّ وأَقْرَبَ مَا يَكُون إِلَى نَصَّيْهِمَا كَمَا كَتَبَهُمَا مُؤَلِّفَاهُمَا رضي الله عنهما .

* قُمْتُ بِتَخْرِيج الأَحَادِيث الْوَارِدَة فِي الرِّسَالَتَيْن .

* قُمْتُ بِالتَّعْلِيق بِاخْتِصَارٍ فِي بَعْض الْمَوَاضِع التي ارْتَأَيْتُ أَهَمِّيَّةً لِلتَّعْلِيق عَلَيْهَا .

* قُمْتُ بِتَوْضِيح مَعَانِي بَعْض الْكَلِمَات التي قَدْ تُشْكِل عَلَى غَيْر ذَوِي الْخِبْرَة بِاللُّغَة الْعَرَبِيَّة ومُصْطَلَح الْقَوْم .

* قُمْتُ بِعَمَل فِهْرِس مَوْضُوعِيّ لِلْكِتَاب حَتَّى يَسْهُل عَلَى الْقَارِئِ الْوُصُولُ إِلَى الْمَوْضِع الَّذِي يُرِيدُه فِي سُهُولَةٍ ويُسْر .

وأخـــيراً .. أَسْأَل اللَّهَ تعالى أَنْ يَنْفَع بِهَذَا الْكِتَاب كُلَّ مَنْ قَرَأَه ، وأَنْ يَجْعَلَه خَالِصاً لِوَجْهه الْكَرِيم ، وأَنْ يَغْفِر لِي مَا كَان فيه مِنْ زَلَل أو خطأ أو تَقْصِير ، وأَنْ يُيَسِّر لَنَا جَمِيعاً مَعْرِفَةَ أَنْفُسنا لِنَعْرِف رَبَّنَا ، وأَنْ يَخْتِم لَنَا جَمِيعاً بِالْخَيْر والْفَضْل والْجُود والْمَنّ والْكَرَم بِجَاه الْحَبِيب وآلِه .

واللَّه مِنْ وَرَاء الْقَصْد ، وهو يَهْدِي السَّبِيل ، والْحَمْد لِلَّه فِي بَدْء ومُخْتَتَم ، وصَلَّى اللَّه على سَيِّدِنَا مُحَمَّد وآلِه وصَحْبِه وسَلَّم .

عاطـــف وفـــدي

المنصورة في ١٣ ذي الْقِعْدَة ١٤٣١ هـــ = ٢١ أكتوبر ٢٠١٠ م

E-mail : awafdey@yahoo.com

الرسـالة الوجـودية في معنى قولـه ﷺ

﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾

تــألــيــف

الشَّيْخ الأَكْبَر مُحْيِي الدِّين بن عَرَبِيّ ﷺ

(الْمُتَوَفَّى سَنَة ٦٣٨ هـ)

التَّعْرِيف بِمُؤَلِّف الرِّسَالَة الْوُجُودِيَّة

– هو سُلْطَان الْعَارِفِين الشَّيْخ الأَكْبَر والنُّور الأَبْهَر الإِمَام : مُحْيِي الدِّين أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه ، ابن عَرَبِيّ الْحَاتِمِيّ ﷺ ، الْمَوْلُود في مُرْسِيَة بِالأَنْدَلُس سَنَة ٥٦٠ هـ ..

– قال ابن أَبِي الْمَنْصُور : هو الشَّيْخ الإِمَام الْمُحَقِّق .. رَأْس أَجِلاَّء الْعَارِفِين والْمُقَرَّبِين .. صَاحِب الإِشَارَات الْمَلَكُوتِيَّة والنَّفَحَات الْقُدْسِيَّة والأَنْفَاس الرُّوحَانِيَّة ، والْفَتْح الْمُوَفَّق والْكَشْف الْمُشْرِق ، والْبَصَائِر الْخَارِقَة والسَّرَائِر الصَّادِقَة ، والْمَعَارِف الْبَاهِرَة والْحَقَائِق الزَّاهِرَة .. له الْمَحَلّ الأَرْفَع مِنْ مَرَاتِب الْقُرْب في مَنَازِل الأُنْس ، والْمَوْرِد الْعَذْب في مَنَاهِل الْوَصْل ، والطَّوْل الأَعْلَى مِنْ مَعَارِج الدُّنُوّ ، والْقَدَم الرَّاسِخ في التَّمْكِين مِنْ أَحْوَال النِّهَايَة ، والْبَاع الطَّوِيل في التَّصَرُّف في أَحْكَام الْوِلاَيَة ، وهُو أَحَد أَرْكَان هَذِه الطَّرِيق ﷺ(١) .

– أَخَذ ﷺ عَنْ أَبِي مَدْيَن الْغَوْث وعَبْد الْعَزِيز الْمَهْدَوِيّ وعَبْد الْحَقّ الإِشْبِيلِيّ ، وأَخَذ عَنْه صَفِيّ الدِّين بن أَبِي الْمَنْصُور وصَدْر الدِّين الْقُونَوِيّ وغَيْرُهُمَا .

– مِمَّنْ أَثْنَى عَلَيْه مِنَ الْعُلَمَاء والأَكَابِر : أَبُو مَدْيَن الْغَوْث ، والْمَجْد الْفَيْرُوزَآبَادِيّ ، والْعِزّ بن عَبْد السَّلاَم ، والشِّهَاب السُّهْرَوَرْدِيّ ، ومُصْطَفَى الْبَكْرِيّ ، وكَمَال الدِّين بن الزَّمْلَكَانِيّ ، والْيَافِعِيّ ، وسَعْد الدِّين الْحَمَوِيّ ، والْفَخْر الرَّازِيّ ، والْجَلاَل السُّيُوطِيّ ، وزَكَرِيَّا الأَنْصَارِيّ ، والشَّعْرَانِيّ ، والْمَقَّرِيّ ، وصَلاَح الدِّين الصَّفَدِيّ ، وابن الْعِمَاد الْحَنْبَلِيّ ، وعَبْد الْغَنِيّ النَّابُلُسِيّ ، وابن حَجَر الْهَيْتَمِيّ ، وإِسْمَاعِيل حَقِّيّ ، وعَبْد الْقَادِر الْعَيْدَرُوس ، وابن كَمَال بَاشَا ، وصَلاَح الدِّين الْعَشَاقِيّ ، ومُؤَيَّد الدِّين الْجُنْدِيّ ، وسَعْد الدِّين الْفَرْغَانِيّ ، ودَاوُد الْقَيْصَرِيّ ، والْقَاشَانِيّ ، وعَبْد اللَّه بُوسْنَوِيّ ، وبَالِي أَفَنْدِيّ ، وقُرَّة بَاش وَلِيّ ، وصَدْر الدِّين بَرَكَة ، ورُكْن الدِّين الشِّيرَازِيّ ، وعَفِيف الدِّين التِّلِمْسَانِيّ ، وبِير عَلِيّ الْهِنْدِيّ ، وبَايَزِيد الرُّومِيّ ، ومُظَفَّر الدِّين الشِّيرَازِيّ ، ومَحْمُود ودَادِيّ ، وخَوَاجَة يَارسَا ، والسَّيِّد عَلِيّ الْهَمَذَانِيّ ، ومُحَمَّد بن عَلِيّ الْقَاضِي ، ومُصْطَفَى مَعْنَوِيّ أَفَنْدِيّ ،

---

(١) انْظُر الطَّبَقَات الْكُبْرَى / ٢٧٠

وأمِير عَلِيّ ، ومُحَمَّد أَفَنْدِيّ يَازجِيّ ، ومُحَمَّد وَزِير غِيَاث الدِّين ، وبَاب نِعْمَة اللّه ، والشَّرِيف نَاصِر الدِّين الْحُسَيْنِيّ الْجِيلاَنِيّ ، وفَيّاض اللاّهيجِيّ ، وضِيَاء الدِّين الأَصْفَهَانِيّ ، ومُحَمَّد بن مُصْلِح التَّبْرِيزِيّ ، ومُحَمَّد قُطْب الدِّين الزِّنبِيقِيّ ، ويَعْقُوب خَان كاشْغَرِيّ ، وعُمَر أَفَنْدِيّ ، ومُلاّ كَاتِب جَلَبِيّ ، وصَاوِيّ عَبْد اللّه أَفَنْدِيّ ، ومُلاّ عَبْد الرَّحْمَن الْجَامِيّ ، ومُحَمَّد بن مُحَمَّد الْقَاضِي ، وجَرْكَس زَادَه تَوْفِيق أَفَنْدِيّ ، وغَيْرُهُمْ كَثِير .

– يَحْكِي ﷺ فَيَقُول : كُنْتُ فِي سَفِينَة بِالْبَحْر الْمُحِيط ، فَهَاجَتِ الأَمْوَاج فَقُلْتُ : " اسكُنْ يَا بَحْر ؛ فَإِنّ عَلَيْك بَحْراً مِنَ الْعِلْم " ، فَطَلَعَتْ لِي هَائِشَة مِنَ الْبَحْر وقَالَتْ :" قَدْ سَمِعْنَا قَوْلَك .. فَمَا تَقُول فِيمَا إِذَا مُسِخ زَوْجُ الْمَرْأَة : هَلْ تَعْتَدّ عِدَّةَ الأَحْيَاء أَمِ الأَمْوَات ؟ " فَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُول ، ونَضَح الْعَرَق مِنْ كُلّ جِسْمِي ، فَقَالَتِ الْهَائِشَة :" تَجْعَلُنِي شَيْخاً لَك وأَنَا أُعَلِّمُك الْجَوَابَ ؟ " فَقُلْتُ :" نَعَمْ " ، قَالَتْ :" إِنْ مُسِخ حَيَوَاناً اعْتَدَّتْ عِدَّةَ الأَحْيَاء ، وإِنْ مُسِخ جَمَاداً اعْتَدَّتْ عِدَّةَ الأَمْوَات " ، فَمَا سُمِع مِنِّي بَعْد ذَلِك رَائِحَةُ دَعْوَى الْعِلْم أَبَداً .

– وجَاءَه تِلْمِيذ يَشْكُو لَه إِنْكَارَ النَّاس عَلَيْهِمْ عُلُومَهُمْ ويُطَالِبُونَهُمْ بِالدَّلِيل عَلَيْهَا ، فَقَال لَه : إِذَا طَالَبَكَ أَحَد بِالدَّلِيل والْبُرْهَان عَلَى عُلُوم الأَسْرَار الإِلَهِيَّة فَقُلْ لَه :" مَا الدَّلِيل عَلَى حَلاَوَة الْعَسَل ؟! " فَلاَ بُدَّ أَنْ يَقُول لَك :" هَذَا عِلْم لا يَحْصُل إِلاّ بِالذَّوْق " فَقُلْ لَه : هَذَا مِثْل ذَاك .

– وكَان رَجُل مِنْ دِمَشْق فَرَض عَلَى نَفْسه أَنْ يَلْعَن الشَّيْخَ مُحْيِيَ الدِّين بْنَ عَرَبِيّ ﷺ كُلّ يَوْم عَشْرَ مَرَّات ، فَمَات وحَضَر ﷺ جَنَازَتَه ، ثُمّ رَجَع فَجَلَس بِبَيْتِه وتَوَجَّه لِلْقِبْلَة ، فَلَمَّا جَاء وَقْت الْغَدَاء أُحْضِر إِلَيْه فَلَمْ يَأْكُلْ ، ولَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِه إِلَى بَعْد الْعِشَاء ، ثُمّ الْتَفَت مَسْرُوراً وطَلَب الْعَشَاءَ وأَكَل ، فَقِيل لَه فِي ذَلِك فَقَال ﷺ :" الْتَزَمْتُ مَع اللّه أَنِّي لا آكُل ولا أَشْرَب حَتَّى يَغْفِر لِهَذَا الذي يَلْعَنُنِي ، وذَكَرْتُ لَه سَبْعِين أَلْف " لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه " ، فَغَفَر لَه[1] .

– مِنْ مُصَنَّفَاتِه ﷺ : الْفُتُوحَات الْمَكِّيَّة ، الْفُتُوحَات الْمَدَنِيَّة ، الإِسْرَا إِلَى الْمَقَام الأَسْرَى ، الْعَبَادِلَة ، فُصُوص الْحِكَم ، حِلْيَة الأَبْدَال ، التَّنَزُّلاَت اللَّيْلِيَّة ، التَّنَزُّلاَت

(١) انْظُرْ : شَذَرَات الذَّهَب ١٩٦/٣ ولَطَائف الْمِنَن لِلشَّعْرَانِيّ ٥٢٠/

الْمُوصِلِيَّة ، مُحَاضَرَة الأَبْرَار ، عَنْقَاء مُغْرِب ، رَدّ الْمُتَشَابه إِلَى الْمُحْكَم ، إِنْشَاء الدَّوَائر ، مَوَاقِع النُّجُوم ، شَجَرَة الْكَوْن ، تَرْجُمَان الأَشْوَاق ، التَّدْبِيرَات الإِلَهِيَّة ، الْكَوْكَب الدُّرِّيّ فِي مَنَاقِب ذِي النُّون الْمِصْرِيّ ، كُنْه ما لا بُدَّ لِلْمُرِيد مِنْه(١) ، ما لا يُعَوَّل عَلَيْه(١) .

– وذُكِر أنّ سُلْطَان الْعُلَمَاء عِزّ الدِّين بن عَبْد السَّلاَم ﷺ كَان يُنْكِر على سَيِّدِي مُحْيِي الدِّين بن عَرَبِيّ ﷺ ، ولَمَّا سَأَلَه خَادِمُه عَنِ الْقُطْب أَشَار إِلَى سَيِّدِي مُحْيِي الدِّين وقَال :" ذَاك الْقُطْب " فَقَال لَه الْخَادِم :" يَا سَيِّدِي .. فَأَنْت تَقُول فِيه مَا تَقُول ؟! " فَقَال : هُو الْقُطْب ..

قَال الشَّيْخ عَبْد الْغَفَّار الْقُوصِيّ : لا مُعَارَضَةَ فِي قَوْل الشَّيْخ عِزّ الدِّين ؛ لأَنَّه إِنَّمَا يَحْكُم عَلَيْه بِمَا يَبْدُو مِنْ أُمُورِ الظَّاهِر وحِفْظِ سِيَاج الشَّرْع ، والسَّرَائر أَمْرُهَا إِلَى اللَّه تَعَالَى يَفْعَل فِيهَا مَا يَشَاء ، فَقَدْ يُطْلَع عَلَى مَحَلّه ورُتْبَتِه فَلاَ يُنْكِرُهَا ، وإِذَا بَدَا فِي الظَّاهِر شَيْءٌ مِمَّا لا يَعْهَدُه النَّاس فِي الظَّاهِر أَنْكَرَه حِفْظاً لِقُلُوب الضُّعَفَاء ووُقُوفاً مع ظَاهِر الشَّرْع ومَا كُلِّف به ، فَيُعْطِي هَذَا الْمَقَامَ حَقَّه وهَذَا حَقَّه(٢) .

* مِنْ أَقْوَالِه ﷺ :

– مَنْ طَلَب دَلِيلاً عَلَى وَحْدَانِيَّة اللَّه تَعَالَى كَان الْحِمَارُ أَعْرَفَ بِاللَّه مِنْه .

– مَن لَمْ تَتَسَاوَ سَرِيرَتُه وعَلاَنِيَتُه فَهُو مُنَافِق .

– تَحَفَّظْ مِنْ لَذّات الأَحْوَال ؛ فَإِنَّهَا سُمُوم قَاتِلَة وحُجُب مَانِعَة .

– لا تُسْأَل فِي الآخِرَة :" لِمَ حَسَّنْتَ ظَنَّك بِالْعِبَاد ؟ " ، فَعَلَيْك بِحُسْن الظَّنّ فِي وُلاَة الأُمُور وإِنْ جَارُوا .

– كُلُّ ذَنْب لَمْ يَذْهَبْ مِنْ ذِهْن الإِنْسَان فَلْيُحْدِثْ لَه تَوْبَةً جَدِيدَةً ويُكْثِرْ مِنَ الاسْتِغْفَار ؛ فَإِنَّه لِلآن لَمْ يُبَدَّلْ .

– تَعَالَى اللَّه عَنْ أَنْ يَكُون فِي مُلْكِه مَا لا يُرِيد ، فَفِي مُخَالَفَة الأَمْر طَاعَة لِلإِرَادَة .

– لا يُنْقِص الْعَارِفَ قَوْلُه لِتِلْمِيذِه :" خُذْ هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي لا تَجِدُه عِنْد غَيْرِي "

(١) وقَدْ أَكْرَمَنِي اللَّه تعالى بِتَحْقِيق هاتَيْن الرِّسَالَتَيْن وجَمْعِهِمَا فِي كِتَاب وَاحِد تَمّ نَشْرُه .

(٢) انْظُرْ تَنْبِيه الْغَبِيّ فِي تَخْطِئَة ابْن عَرَبِيّ لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ /٥٣ ، وسَوْف نَقُوم – بِإِذْنِه تَعَالَى وتَوْفِيقِه – بِتَحْقِيقِه وطِبَاعَتِه .

ونَحْوُه مِمَّا فيه تَزْكِيَةُ نَفْسه ؛ لأنَّ قَصْدَه حَثُّ الْمُتَعَلِّم عَلَى الْقَبُول .

– إذَا اسْتَمَرَّ تَوَجُّه الْقَلْب إِلَى الْمَوْلَى سُبْحَانَه في كُلِّ حَرَكَةٍ وسُكُونٍ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فَبَابُ الْفَتْحِ مَوْجُود .

– مَنْ صَدَق في شَيْءٍ وتَعَلَّقَتْ هِمَّتُه بِحُصُولِه كَان لَه عَاجِلاً أَوْ آجِلاً ، فَإِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْه في الدُّنْيَا فَهُو لَه في الآخِرَة ، ومَنْ مَات قَبْل الْفَتْح رُفِع إِلَى مَحَلِّ هِمَّتِه .

– مَنْ لَمْ يُطْرِبْه سَمَاعُ الْقُرْآن مِنْ غَيْرِ أَلْحَانٍ فَلَيْس عَلَى شَيْءٍ .

– ما تَعَوَّد أَحَدٌ الْكَذِبَ إِلاَّ اسْتَدْرَجَه ذَلِك لِلْكَذِب عَلَى اللّه ورَسُولِه .

– كُلُّ مَنْ ثَقُل عَلَيْك الْجَوَابُ عَنْ كَلاَمِه فَلاَ تُجِبْه ؛ فَإِنَّ وِعَاءَه مَلآن لا يَسَع الْجَوَاب .

– لا تَسُبَّ أَحَداً بِسَبَب مَعْصِيَةٍ ؛ فَإِنَّك لا تَدْرِي بِمَ يُخْتَم لَك .

– مِنْ أَعْظَمِ الْمَكْر بِالْعَبْد أَنْ يُرْزَق الْعِلْمَ ويُحْرَم الْعَمَلَ به ، أَوْ يُرْزَق الْعَمَلَ ويُحْرَم الإِخْلاَصَ فيه .

– مَا ثَمَّ شَيْءٌ أَبْرَزَه الْمَوْلَى ﷻ إِلَى الْوُجُود إِلاَّ وفيه حِكْمَة بَالِغَة .

– جَمَالُ صُورَتِك في الآخِرَة يَكُون عَلَى قَدْرِ خَوَاطِرِك الْمَحْمُودَة في الشَّرِيعَة هُنَا .

– مَنْ صَحَّ لَه قَدَم في التَّوْحِيد انْتَفَتْ عَنْه الدَّعَاوَى مِنْ نَحْوِ رِيَاء وإِعْجَاب ؛ فَإِنَّه يَجِد جَمِيعَ الصِّفَات الْمَحْمُودَة لِلّه لا لَه ، والْعَبْد لا يُعْجَب بِعَمَلِ غَيْرِه ولا بِمَتَاعِ غَيْرِه .

– الْمُحِبّ كَإِنْسَانِ الْعَيْن ؛ خَيْرُ وُجُودِه كَثِيرُ شُهُودِه .

– جَمِيع مَا يَقَع مِنَ الْمَسِيخ الدَّجَّال لَيْس حَقِيقَةً ؛ فَالدَّجَل تَمْوِيه بِإِظْهَار الْبَاطِل في صُورَة الْحَقّ .

تُوُفِّي رضي الله عنه بِدِمَشْق سَنَة ٦٣٨ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْد لِلَّه الذي لَمْ يَكُنْ قَبْل وَحْدَانِيَّتِه قَبْل إلاَّ وِالْقَبْل هو ، ولَمْ يَكُنْ بَعْد فَرْدَانِيَّتِه بَعْد إلاَّ والْبَعْد هو ، كان ولا بَعْدَ معه ولا قَبْلَ ولا فَوْقَ ولا تَحْتَ ولا قُرْبَ ولا بُعْدَ ولا كَيْفَ ولا أَيْنَ ولا حِينَ ولا أَوَانَ ولا وَقْتَ ولا زمانَ ولا كَوْنَ ولا مكانَ ، وهو الآن كَمَا كان ..

هو الْوَاحِد بِلاَ وحدانيَّة ، وهو الْفَرْد بِلاَ فردانيَّة ، لَيْس مُرَكَّباً مِنْ الاسْم والْمُسَمَّى ..

هو الأَوَّل بِلا أَوَّلِيَّة ، وهو الآخِر بِلا آخِرِيَّة ، وهو الظَّاهِر بِلا ظاهريَّة ، وهو الباطن بِلا باطنيَّة ؛ أعني أنّه هو وجود حروف " الأَوَّل " وهو وجود حروف " الآخِر " وهو وجود حروف " الباطن " وهو وجود حروف " الظّاهر " ، فلا أَوَّلَ ولا آخِرَ ولا ظاهِرَ ولا باطِنَ بِلا صَيَرَان هذه الْحُرُوف وُجُودَه وصَيَرَان وجودِه هَذِه الْحُرُوفَ ، فَافْهَمْ هَذَا لِئَلاَّ تَقَع في غَلَط الْحُلُولِيَّة[1] .

لا هو في شَيْء ، ولا شَيْءَ فيه لا داخلاً ولا خارجاً ، ينبغي أنْ نَعْرِفَه بِهَذِه الصِّفَة لا بِالْعِلْم ولا بِالْعَقْل ولا بِالْفَهْم ولا بِالْوَهْم ولا بِالْعَيْن ولا بِالْحِسّ الظَّاهِر ولا بِالْعَيْن الْبَاطِن ولا بِالإدراك ، لا يَرَاه إلاَّ هو ولا يُدْرِكُه إلاَّ هو ولا يَعْلَمُه إلاَّ هو بِنَفْسه ، وبِنَفْسه يَعْرِف نَفْسَه ، يَرَى نَفْسَه لا يَرَاه أحدٌ غَيْرُه .

حِجَابُه وَحْدَانِيَّتُه ، فلا يَحْجُبُه شَيْءٌ غَيْرُ حِجَابه ، وُجُودُه وَحْدَانِيَّتُه ، تَسَتَّر بِوَحْدَانِيَّتِه بلا كَيْفِيَّة ، لا يَرَاه أحدٌ غَيْرُه ، لا نَبِيّ مُرْسَل ولا وَلِيّ كَامِل ولا مَلَك مُقَرَّب يَعْرِفُه ، نَبِيُّه هو ، ورَسُولُه هو ، ورِسَالَتُه هو ، وكَلاَمُه هو ، أَرْسَل نَفْسَه بِنَفْسه مِنْ نَفْسه إلى نَفْسه[2] ، لا واسِطَةَ ولا سَبَبَ غَيْرُه ، ولا تَفَاوُتَ بَيْن الْمُرْسِل والْمُرْسَل به والْمُرْسَل إليه .

---

(١) الْحُلُولِيَّة : هُمُ الْقَائِلُون بأنّ الله حَلّ في مَخْلُوقَاتِه وأنّه موجود بِذَاتِه في كُلّ مكان ، تعالى الله عَمَّا يَقولُون عُلُوّاً كَبِيراً .

(٢) سَبَق وأَشَرْنَا في الْمُقَدِّمَة إلى مُعْتَقَد الشَّيْخ الأكبر الذي يَنْفِي الْحُلُولَ والاتِّحَادَ وغَيْرَ ذلك مِمَّا يَتَنَافَى مع عقيدة الْمُسْلِمين ، ولِذَا فإنّ أيّ كلام مُوهِم بذَلِك له وَجْه صَحِيح لا يُنَافِي الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَة ، وكُلّ ما سَتَقْرَأُه في هذا الْكِتَاب مِنْ مِثْل ذلك إنّمَا هو إشارة إلى أنّ =

وجود حروف الثّناء وجودُه لا غَيْر ، لا ثَنَاؤه ولا اسْمُه ولا مُسَمّاه ، ولِهَذا قال ﷺ ﴿عَرفْتُ رَبِّي بربِّي﴾[1] وقال ﷺ ﴿مَنْ عَرفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرفَ رَبَّه﴾[2] .

وقال ﷺ ﴿عَرفْتُ رَبِّي بربِّي﴾ أشار ﷺ بذَلِك أنّك لَسْتَ أنْت ؛ أنْت هو بلا أنْت ، لا هو داخِل فيك ولا هو خارج مِنْك ، ولا أنْت خارِج مِنه ولا أنْت داخِل فيه ، ولا بذَلِك أنّك موجود وصِفَتُك هَكَذا أبداً ؛ غَنيّ به ، إنَّك ما كُنْتَ قَطّ ولا تَكُون لا بنَفْسك ولا فيه ولا معه ، ولا أنْت فانٍ ولا موجود ، أنْت هو وهو أنْت بلا عِلَّة مِنْ هذه الْعِلَل ، فإنْ عَرفْتَ وجودَك بهَذِه الصِّفَة فقَدْ عَرفْتَ اللَّهَ وإلاَّ فلا[3] .

= أنّ الْوُجُودَ كُلّه ما هو إلاّ تَجلّيات الأسْمَاء والصِّفَات ، وأنّه إذَا خَلاَ الْوُجود مِنْ تِلْك التَّجلّيات الْعدَم وتَلاَشى ؛ لأنّ وجود الأشياء لَيْس قائماً بذَواتِهَا ، وإنَّمَا بمُوجِدِهَا جَلّ وعَلاَ ، وما أجْمَل ما قال أبو مَدْيَن الْغَوْث ﵁ :

اللَّهَ قُلْ وذَرِ الْوُجُودَ ومَا حَوَى ... إنْ كُنْتَ مُرْتَاداً بُلُوغَ كَمَالِ
فالْكُلُّ دُونَ اللَّهِ إنْ حَقَّقْتَهُ ... عَدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ والإجْمَالِ
واعْلَمْ بأنَّكَ والْعَوَالِمَ كُلَّهَا ... لَوْلاَهُ فِي مَحْوٍ وفِي اضْمِحْلاَلِ
مَنْ لاَ وُجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ ... فَوُجُودُهُ لَوْلاَهُ عَيْنُ مُحَالِ
فالْعَارِفُونَ فَنَوْا ولَمَّا يَشْهَدُوا ... شَيْئاً سِوَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِ
ورَأَوْا سِوَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَالِكاً ... فِي الْحَالِ والْمَاضِي والاسْتِقْبَالِ
فالْمَحْ بعَقْلِكَ أوْ بطَرْفِك هَلْ تَرَى ... شَيْئاً سِوَى فِعْلٍ مِنَ الأفْعَالِ ؟!
وانْظُرْ إلَى عُلْوِ الْوُجُودِ وسُفْلِهِ ... نَظَراً تُؤَيِّدُهُ بالاسْتِدْلاَلِ
تَجِدِ الْجَمِيعَ يُشِيرُ نَحْوَ جَلاَلِهِ ... بلِسَانِ حَالٍ أوْ لِسَانِ مَقَالِ
هُوَ مُمْسِكُ الأشْيَاءِ مِنْ عُلْوٍ إلَى ... سُفْلٍ ومُبْدِعُهَا بغَيْرِ مِثَالِ

(١) لِمْ أجِدْه مَرْفُوعاً ولا مَوْقُوفاً ، ولَكِنْ وَجَدْتُه مِنْ كَلاَم ذي النُّون الْمِصْريّ ﵁ كَمَا في الرِّسَالَة الْقُشَيْريَّة /١٤٢ ومدارج السَّالِكين ٣/٣٤١ وتَكْمِلَتُه : ولَوْلاَ رَبِّي مَا عَرفْت رَبِّي .

(٢) سَوْف يأتِي تَفْصِيل الْكَلاَم على تَخْرِيج هذا الْحَدِيث في رسالة الْحَافِظ السُّيُوطِي " الْقَوْل الأشْبَه " ، فَرَاجِعْه هناك .

(٣) قال الْبَقْلِيّ : ألاَ تَرَى كَيْف أخْبَر عَنْ كَمَال قُرْبه بنَعْت الاتِّحَاد بقَوْله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ، ولِذَلِك قال ﵇ ﴿مَنْ عَرفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرفَ رَبَّه﴾ ؛ إذْ لا نَفْسَ إلاّ هو إنْ فَهِمْتَ ما قُلْتُ ، وإلاّ فاعْلَمْ أنّ الْفِعْل قائم بالصِّفَة ، والصِّفَة قائمة بالذّات ، فَمِنْ حَيْث عَيْن الْجَمْع ما هو إلاّ هو ، ولا تَظُنّ الْحُلُولَ ؛ فإنّه بذَاتِه وصِفَاتِه مُنَزَّه عَنْ أنْ يَكُون له مَحَلّ =

وأَكْثَرُ الْعُرّاف أَضَافُوا معرفةَ اللّه تعالى إلى فَنَاء الْوُجُود وفَنَاء الْفنَاء ، وذَلِك غَلَط وسَهْو واضِح ؛ فإنّ معرفة اللّه تعالى لا تَحتَاج إلى فَنَاء الْوُجُود ولا إلى فَنَاء فَنَائه ؛ لأنّ الشَّيْء لا وُجُودَ له ، وما لا وُجُودَ له لا فَنَاءَ له ؛ فإنّ الْفَنَاء بَعْد إثبات الْوُجُود ، فإذَا عَرَفْتَ نَفْسَك بلا وجود ولا فَنَاء فَقَدْ عَرَفْتَ اللّهَ وإلاّ فلا .

وفي إضافة معرفة اللّه تعالى إلى فَنَاء الْوُجُود وإلى فَنَاء فَنَائه إثباتُ الشِّرْك ؛ لأنّك إذَا أَضَفْتَ معرفةَ اللّه إلى فَنَاء الْوُجُود وفَنَاء الْفنَاء كان الْوُجُود لِغَيْر اللّه ونَقِيضَه ، وهناك شِرْك واضِح ؛ لأنّ النَّبيّ ﷺ قال ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ ولَمْ يَقُلْ " مَنْ فَنِي عَنْ نَفْسه فَقَدْ عَرَف رَبَّه " ؛ فإنّ إثبات الْغَيْر يُنَاقِض فَنَاءه ، وما لا يَجُوز ثُبُوتُه لا يَجُوز فَنَاؤه ..

وُجُودُك لا شَيْءَ ، واللاّ شَيْء لا يُضَاف إلى شَيْء لا فانٍ ولا غَيْر فانٍ ولا موجود ولا معدوم ، الآنَ كَمَا كُنتَ معدوماً قَبْل التَّكْوين ؛ فالآن الأزل والآن الأبد والآن الْقِدَم ، فاللّه هو وجود الأزل ووجود الأبد ووجود الْقِدَم ؛ فإنْ بلا وجود الأزل والأبد والْقِدَم لَمْ يَكُنْ كَذَلِك ما كان وَحْدَه لا شَرِيكَ له ، وواجب أنْ يَكُون وَحْدَه لا شَرِيكَ له ؛ فإنّ شَرِيكَه هو الذي يَكُون وجودُه بذَاتِه لا بوُجُود اللّه ، ومَن يَكُنْ كَذَلِك لَمْ يَكُنْ مُحتَاجاً إلَيْه فيَكُون – إذَنْ – رَبّاً ثانياً ، وذلك مُحَال ؛ فلَيْس لِلّه شَرِيك ولا ندّ ولا كُفؤ ، ومَنْ رَأَى شيئاً مع اللّه أو مِنَ اللّه أو في اللّه – وذلك الشَّيْء يَحتَاج إلى اللّه بالرُّبُوبِيَّة – فَقَدْ جعَل ذلك الشَّيْءَ – أيضاً – شَرِيكاً يَحتَاج إلى اللّه بالرُّبُوبِيَّة ، ومَنْ جوَّز أنْ يَكُون مع اللّه شَيْء يَقُوم بنَفْسه أو يَقُوم به أو هو فانٍ عَنْ وجوده أو عَنْ فَنَائه فَهُو بَعْدُ ما شَمّ رائحةَ معرفة النَّفْس ؛ لأنّ مَنْ جوَّز أنْ يَكُون موجوداً سِوَاه قائماً به فيه يَصِير فانياً في فَنَائه فَتَسلْسَل الْفَنَاء بالْفَنَاء ، وذلك شِرْك بَعْدَ شِرْك ولَيْس بِمَعْرِفَة النَّفْس ، هو مُشْرِك لا عارِف باللّه ولا بنَفْسه .

= في الْحَوَادِث ، هَذَا رَمْز الْعَاشِقِين ، أَلاَ تَرَى إلى قَوْل الْمَجْنُون :

أَنَــا مَــنْ أَهْــوَى ومَــنْ أَهْــوَى أَنَــا ... نَحْــنُ رُوحَــانِ حَلَلْنَــا بَــدَنَا
فَــإذَا أَبْصَــرْتَنِي أَبْصَــرْتَهُ ... وإذَا أَبْصَــرْتَهُ أَبْصَــرْتَنَا

رُوح الْبَيَان ٩/٩٨

فإنْ قال قائل : كَيْف السَّبِيل إلى معرفة النَّفس وإلى معرفة اللّه ؟

فالْجَوَاب : سَبِيل معرفتِهَا أنْ تَعْلَم وتَتحقَّق أنّ اللّه ﷻ كان ولَمْ يَكُنْ معه شَيْء ، وهو الآن كَمَا كان .

فإنْ قال قائل : أنَا أرَى نَفْسِي غَيْرَ اللّه ، ولا أرَى اللّهَ نَفْسِي !

فالْجَوَاب : أراد النَّبيُّ ﷺ بالنَّفْس وجودَك وحقيقتَك لا النَّفْسَ الْمُسَمَّاةَ بـ" اللَّوَّامَة والأمَّارَة والْمُطْمَئِنَّة " ، بَلْ أشار بالنَّفْس إلى ما سِوَى اللّه جَمِيعاً كَمَا قال ﷺ ﴿ اللَّهُمَّ أرِني الأشْيَاءَ كَمَا هِيَ ﴾ [1] عَبَّر بـ" الأشياء " عَمَّا سِوَى اللّه ﷻ : أيْ عَرِّفْنِي ما سِوَاك لأعْلَم وأعْرِف الأشياءَ أيَّ شَيْءٍ هي : أهِي أنْت أمْ غَيْرُك ؟ أمْ هي قَدِيم باقٍ أمْ حادِث فانٍ ؟ فَأرَاه اللّه تعالى ما سِوَاه نَفْسَه بلا وجودِ ما سِوَاه فرَأى الأشياءَ كَمَا هي أعْنِي الأشياء ذات اللّه تعالى بلا كَيْف ولا أيْن ..

واسْم الأشياء يَقَع على النَّفْس وغَيْرِهَا مِنَ الأشياء ؛ فإنّ وجود النَّفْس ووجود الأشياء سِيَّان في الشَّيْئِيَّة ، فَمَتَى عَرَف الأشْيَاءَ عَرَف النَّفْسَ ، ومَتَى عَرَف النَّفْسَ فَقَدْ عَرَف الرَّبَّ ؛ لأنّ الذي يَظُنّ أنّه سِوَى اللّه لَيْس هو سِوَى اللّه ، ولَكِنَّك لا تَعْرِف وأنْت تَرَاه ولا تَعْلَم أنّك تَرَاه ، ومَتَى يُكْشَف لك هذا السِّرّ عَلِمْتَ أنّك لَسْتَ ما سِوَى اللّه وعَلِمْتَ أنّك كُنتَ مقصوداً وأنّك لا تَحْتَاج إلى الْفَنَاء وأنّك لَمْ تَزَلْ ولا تَزَال بلا حِين ولا أوَان كَمَا ذَكَرْنَا قَبْل ، جَمِيع صِفَاتِه صِفَاتُك ، وتَرَى ظاهِرَك ظاهِرَه وباطِنَك باطِنَه وأوَّلَك أوَّلَه وآخِرَك آخِرَه بلا شَكّ ولا رَيْب ، وتَرَى صِفَاتِك صِفَاتِه وذاتَك ذاتَه بلا صَيْرُورَتِك إيَّاه وصَيْرُورَتِه إيَّاك ولا بِقَلِيل ولا بِكَثِير [2] .

كُلّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاّ وَجْهَه بِالظَّاهِر والْبَاطِن ، يَعْنِي لا موجودَ إلاّ هو ، ولا وجودَ

---

(١) ذكَرَه ابن عادِل في تَفْسِير اللُّبَاب ١٢/٣٧٣ والنَّيْسابُورِيّ في تَفْسِير غَرَائب القُرْآن ٣/١٠٦ والشَّيْخ عَبْد القَادِر الْجَزَائِرِيّ في الْمَوَاقِف ١/٤٩

(١) قال ابن عجيبة : وقوله تعالى ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ... ﴾ قال القُشَيْرِيّ : يُشِير إلى أنّ النَّفس مِرْآة جَمِيع صفات الْحَقّ ، لِهَذا قال ﷺ ﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾ ، فلا يَعْرِف أحدٌ نَفْسَه إلاّ بَعْد كَمَالِهَا ، وكَمَالُهَا أنْ تَصِير مِرْآةً كاملةً تامّةً مَصْقُولَةً قابلَةً لِتَجَلِّي صفات الْحَقّ لَهَا ، فَيَعْرِف نَفْسَه بالمِرْآتِيَّة ، ويَعْرِف رَبَّه بالتَّجَلِّي فِيهَا ، كَمَا قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ الآية .. الْبَحْر الْمَدِيد ٧/٢٠٤

وقال الشَّيْخ إسْمَاعِيل حَقِّيّ : فَعَلَى قَدْر ضَعْف الإنسان أعْطَاه اللّه تعالى مِنْ كُلّ صِفَة =

لِغَيْرِه فَيَحْتَاج إلى الْهلاَك ، ويَبْقَى وَجْهُه يَعْني لا شَيْءَ إلاَّ وَجْهُه ، فكَمَا أنّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئاً ثُمّ عَرَفَه ما فَنِي وجودُه بوجود آخَر ولا تَرَكّب وجود الْمُنْكِر بوجود الْعَارِف ولا تَدَاخَل بالأثر يَقَع الْجَهْل ، فلا تَظُنّ أنّك تَحْتَاج إلى الْفَنَاء ، فإن احْتَجْتَ إلى الْفَنَاء فأنْت - إذَنْ - حِجَابُه ، والْحِجَاب غَيْر اللّه ، فيَلْزَم غلبةُ غَيْره عليه بالدَّفْع عَنْ رؤيتِه له ، وهذا غَلَط وسَهْو .

قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ أنّ حِجَابَه وحدانيَّته وفردانيَّته لا غَيْر ، ولِهَذَا أَجاز لِلْوَاصِل إلى الْحَقِيقَة أنْ يَقُول :" أَنَا الْحَقّ " وأنْ يَقُول :" سُبْحَاني " ، وما وَصَل واصِل إليه إلاَّ ورَأَى صفاتِه صفاتِ اللّه وذاتَه ذاتَ اللّه بلا كَوْن صفاتِه ولا ذاتِه داخلاً في اللّه أو خارجاً مِنْه قَطّ ولا أنّه فانٍ مِنَ اللّه أو باقٍ في اللّه ، يَرَى نَفْسَه أنْ لَمْ يَكُنْ له قَطّ ؛ لأنّه كان ثُمّ فَنِي ؛ فإنّه لا نَفْسَ إلاَّ نَفْسُه ولا وجودَ إلاَّ وجودُه ، وإلى هَذَا أشار النَّبيّ ﷺ بقَوْل ﴿ لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ ؛ فَإنَّ اللّهَ هُوَ الدَّهْر ﴾[1] ، ونُزّه اللّه ﷻ عن الشَّرِيك والنِّدّ والْكُفْؤ .

= مِنْ صفات جَمَالِه وجَلاَلِه أُنْمُوذَجاً لِيُشَاهِد في مِرْآة صفات نَفْسه كَمَالَ صفات رَبِّه كَمَا قال ﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾ ، ولَيْس لِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَات هَذِه الْكَرَامَة الْمُخْتَصَّة بالإنسان .. رُوح الْبَيَان ٨٤/١

وقال أيضاً : فَكُلُّ ناظِرٍ يَنْكَشِف له جَمَال الذّات مِنْ حقيقةِ نَفْسه فَيَنْظُر إليه مِنْ تِلْك الْحَقِيقَة ، وهي لَيْسَتْ بحِجَاب لِلنَّظَر ولا لِلذّات ؛ إذْ هي كالْمِرْآة ، فالنَّظَر الظَّاهِرِيّ قَيْد تامّ ، وما وراءَ تِلْك الْحَقِيقَة مِنَ الذّات إطلاق صِرْف ، فَلاَ مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُمَا بوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوه ، وتِلْك الْحَقِيقَة بَيْن التَّقْييد والإطلاق بَرْزَخ جامِع لَهُمَا كَمَا قال عليه السلام ﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾ ، فالْعَارِف إذا لَمْ يَتَعَلّقْ عِرْفَانُه بنَفْسه الْكُلّيَّة وحَقِيقَتِه الْجَامِعَة لا يَتَأَتَّى مِنْه عِرْفَانُ رَبِّه ؛ لأنّ رَبَّه مُطْلَق عَنِ الْقُيُود والنِّسَب والإضَافَات ، وهو بهَذَا الاعتبار لا تَتَعَلّق به الْمَعْرِفَة ، وأمَّا نَفْسُه الْمُتَجَلّي فِيهَا الرَّبّ بحَقَائق أَسْمَائه فَتَتَعَلّق بها تِلْك الرُّؤْيَة مِنْ تِلْك الْحَيْثِيَّة ، فتَكُون حقيقةُ نَفْسه ومَعْرِفَتُهَا مِرْآةَ مَعْرِفَةِ رَبِّه .. رُوح الْبَيَان ٧٥/٣

وقال الْبَيْضَاوِيّ : ونَفَخ فيه مِنْ رُوحِه ؛ أَضَافَه إلى نَفْسه تشريفاً له وإشعاراً بأنّه خَلْق عَجِيب وأنّ له شَأناً له مناسَبَة ما إلى الْحَضْرَة الرُّبُوبِيَّة ، ولأَجْلِه قِيل : مَنْ عَرَف نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه .. أنوار التَّنْزِيل وأسرار التَّأْوِيل ٣٥٦/٤

(١) أَخْرَجَه مُسْلِم ١٧٦٢/٤ والإمام أَحْمَد ٧٠/١٥ والْبَيْهَقِيّ ٣٦٥/٣ وفي الشُّعَب ١٩١/٧ وأبو نُعَيم ٢٥٧/٨ وأبو يَعْلَى ٤٥٢/١٠ عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه .

ورُوِي عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال ﴿ إنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَال :(يَا ابْنَ آدَمَ .. مَرِضْتُ وَلَمْ تَعُدْنِي ، وَسَأَلْتُكَ وَلَمْ تُعْطِنِي ﴾ [١] أشار إلى أنّ وجود السّائل وجودُه ووجود الْمَرِيض وجودُه ، فَمَتَى جاز أنْ يَكُون وجود السّائل وجودَه ووجودُ جَمِيع الأشياء مِنَ الْمُكوَّنات مِنَ الأعراض والْجَوَاهِر وجودَه ومَتَى ظَهَر سِرُّ ذَرَّةٍ مِنَ الذَّرّات ظَهَر سِرّ جَمِيع الْمُكوَّنات الظّاهِرَة والْبَاطِنَة ، ولا نَرَى الذّرين سِوَى اللَّه بِلا وجود الذّرين اسْمِهِمَا ومُسَمّاهُمَا ، بَل اسْمُهُمَا ومُسَمّاهُمَا ووجودُهُمَا كُلُّهُمَا هو بِلا شَكّ ولا رَيْب .

ولا تَرَى أنّه تعالى خَلَق شيئاً قطّ ؛ بَلْ تَرَى كُلَّ يَوْم هو شَأْن مِنْ إظهارِ وجودِه وإخفائه بِلا كيفيَّة ؛ لأنه هو الأَوَّل والآخِر والظّاهِر والْبَاطِن وهو بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيم ؛ ظَهَر بوحدانيَّتِه وبَطَن بفردانيَّتِه ، وهو الأوَّل بِذَاتِه وقَيُّومِيَّتِه وهو الآخِر بِدَيْمُومِيَّتِه ، وجود حروف " الأَوَّل " هو ، ووجود حروف " الآخِر " هو ، ووجود حروف " الظّاهر " هو ، ووجود حروف " الْبَاطِن " هو ، هو اسْمُه وهو مُسَمّاه .

وكَمَا يَجب وجودُه يَجب عَدَمُ ما سِوَى ؛ فإنّ الذي تَظُنّ أنّه سِوَاه لَيْس سِوَاه ، تَنزَّه أنْ يَكُون غَيْره ؛ بَلْ غَيْرُه هو بِلا غَيْرِيَّةِ الْغَيْر مع وجودِه وفي وجودِه ظاهراً وباطناً .

---

(١) أخرَجَه مُسْلِم ١٩٩٠/٤ وابن حِبّان ٥٠٣/١ ٢٢٤/٣ ٣٦٦/١٦ والْبُخارِيّ في الأدب الْمُفْرَد /١٨٢ وإسحاق بن راهَوَيْه ١١٥/١ والْبَيْهَقِيّ في الشُّعَب ٤١٢/١١ والأسْمَاء والصِّفات ٥٤٦/١ والطَّبَرانِيّ في مكارم الأخلاق /٢٠٨ وعَبْد الْغَنِيّ الْمَقْدِسِيّ في التَّوْحِيد /٩٥ عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه .

ونَصُّه كَمَا عِنْد مُسْلِم : ﴿ إنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَة :(يَا ابْنَ آدَمَ .. مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي) قَالَ :" يَا رَبِّ .. كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! " قَال :(أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؛ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَه ! .. يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي) قَالَ :" يَا رَبِّ .. وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! " قَال :(أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَان فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؛ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ! .. يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي) قَالَ :" يَا رَبِّ .. كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! " قَال : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَان فَلَمْ تَسْقِهِ ؛ أَمَا إنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ﴾ .

وجاء في كَثِير مِنَ الرِّوَايَات ﴿ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَه ﴾ .

ولِمَن اتَّصَف بهَذِه الصِّفَة أوصاف كَثِيرَة لا حَدَّ لَهَا ولا نِهَايَةَ لَهَا ، فَكَمَا أنّ مَنْ مات بصُورَتِه انْقَطَع جَمِيع أوصافِه عنه - الْمَحْمُودَة والْمَذْمُومَة - كَذَلِك مَنْ مات بالْمَوْت الْمَعْنوِيّ يَنْقَطِع عنه جَمِيع أوصافه الْمَذْمُومَة والْمَحْمُودَة ويَقُوم اللّه تعالى مَقامَه في جَمِيع الْحَالاَت : فَيَقُوم مَقَامَ ذاتِه ذاتُ اللّه تعالى ، ومَقَامَ صِفَاتِه صِفَاتُ اللّه تعالى ، ولِذَلِك قال النَّبِيّ ﷺ ﴿ مُوتُوا قَبْلَ أنْ تَمُوتُوا ﴾[1] أي اعْرِفُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْل أنْ تَمُوتُوا ، وقال ﷺ ﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَدا ... ﴾[2] إلى آخِره ، فأشار إلى أنّ مَنْ عَرَف نَفْسَه يَرَى جَمِيعَ وجودِه ولا تَغَيُّراً في ذاتِه ولا صفاتِه ، ولا يَحْتَاج إلى تَغَيُّر صفاتِه ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ هو وجودَ ذاتِه ، بَلْ كان جاهلاً بمَعْرِفَة نَفْسه .

فَمَتَى عَرَفْتَ نَفْسَك ارْتَفَعَتْ أنانِيَّتُك وعَرَفْتَ أنَّك لَمْ تَكُنْ غَيْرَ اللّه ، فإنْ كان لك وجود مُسْتَقِلّ لا يَحْتَاج إلى الْفَنَاء ولا إلى معرفة النَّفْس فتَكُون رَبّاً سِوَاه ، فَتَبَارَك اللّه تعالى أنْ يوجَد رَبٌّ سِوَاه .

ففائدة معرفة النَّفْس : أنْ تَعْلَم وتُحَقِّق أنّ وجودَك لَيْس موجوداً ولا معدوماً ولَسْتَ كائناً ولا كُنْتَ ولا تَكُون قَطّ ، ويَظْهَر لك بذَلِك مَعْنَى " لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه " ؛ إذْ لا إلهَ غَيْرُه ولا وجودَ لِغَيْرِه ، فلا غَيْرَ سِوَاه ولا إلهَ إلاَّ إِيَّاه .

فإنْ قال قائل : عَطَّلْتَ رُبُوبِيَّته ؟!

فالْجَوَاب : لَمْ أُعَطِّلْ رُبُوبِيَّته ؛ لأنّه لَمْ يَزَلْ رَبّاً ولا مَرْبُوبَ ولَمْ يَزَلْ خالقًا ولا مَخْلُوقَ ، وهو الآن كَمَا كان ، أتَرَى خلاقَته ورُبُوبِيَّته لا تَحْتَاج إلى مَخْلُوق

(١) قَال الْعَجْلُونِيّ : قَال الْحَافِظ ابْن حَجَر : هو غَيْر ثَابت ..
وقَال الْقَارِي : هو مِنْ كَلاَم الصُّوفِيَّة ..
والْمَعْنَى : مُوتُوا اخْتِيَاراً بتَرْك الشَّهَوَات قَبْل أنْ تَمُوتُوا اضْطِرَاراً بالْمَوْت الْحَقِيقِيّ ..
كَشْف الْخَفَاء ٣٨٤/٢

(٢) أخْرَجَه الْبُخَارِيّ ٢٣٨٤/٥ وابْن حِبَّان ٥٨/٢ وأبو نُعَيْم ١٤/١ والْبَيْهَقِيّ ٣٤٦/٣ وفِي الزُّهْد ٢٦٩/٢ عَنْ أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه ، والطَّبَرَانِيّ في الأَوْسَط ١٣٩/٩ والْبَيْهَقِيّ في الزُّهْد ٢٧٠/٢ عَنِ السَّيِّدَة عَائشَة رضي الله عنها ، والطَّبَرَانِيّ ٢٠٦/٨ والْبَيْهَقِيّ في الزُّهْد ٢٧٣/٢ عَنْ أبي أُمَامَة رضي الله عنه ، والْحَكِيم التِّرْمِذِيّ ٢٣٢/٢ والدَّيْلَمِيّ ١٦٨/٣ عَنْ أنَس بن مَالِك رضي الله عنه ، وأبو يَعْلَى ٥٢٠/١٢ عَنِ السَّيِّدَة مَيْمُونَة رضي الله عنها .

ولا إلى مربوب ، فهو بتكوين الْمُكَوَّنَات كان موصوفًا بِجَمِيع أوصافه ، وهو الآن كَمَا كَان ، فلا تَفَاوُتَ بَيْنَ الْجِهَة والْقِدَم ؛ فوحدانيَّة الْجِهَة مُقْتَضَى ظاهريَّته ، ووحدانيَّة الْقِدَم مُقْتَضَى باطنيَّته ، ظاهرُه باطنُه وباطنُه ظاهرُه ، أَوَّلُه آخِرُه وآخِرُه أَوَّلُه، والْجَمِيع واحِد والْوَاحِد جَمِيع ، كان صِفَتُه كُلَّ يَوْمٍ هو في شأن ، وما كان شَيْءٌ سِوَاه ، وهو الآن كَمَا كان ، ولا موجودَ لِمَا سِوَاه بالْحَقِيقَة ؛ كَمَا كان في الأزل والْقِدَم كُلَّ يَوْمٍ هو في شأن ولا شَيْءَ موجود فهو الآن كَمَا كان ، فوجود الْمَوْجُودَات وعَدَمُهَا سِيَانِ ؛ وإلاَّ لَلَزِمَ طَرَيَان طارٍ لَمْ يَكُنْ في وحدانيَّته ، وذَلِك نَقْص ، وجَلَّتْ وحدانيَّته عَنْ ذَلِك .

ومَتَى عَرَفْتَ نَفْسَك بِهَذِهِ الصِّفَة مِنْ غَيْرِ إضافةِ ضِدٍّ أو نِدٍّ أو كُفُؤٍ أو شَرِيكٍ إلى اللَّه تعالى فَقَدْ عَرَفْتَهَا بالْحَقِيقَة ، ولِذَلِك قال ﷺ ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ ، ولَمْ يَقُلْ " مَنْ أَفْنَى نَفْسَه فَقَدْ عَرَف رَبَّه " ؛ فإنه ﷺ عَلِم ورَأَى أَنْ لا شَيْءَ سِوَاه ، ثُمَّ أشار إلى أنَّ معرفة النَّفْس هي معرفة اللَّه تعالى : أي اعْرِفْ نَفْسَك - أيْ وجودَك - أنَّك لَسْتَ أَنْت ولَكِنَّك لا تَعْرِف ، أي اعْرِفْ أنَّ وجودَك لَيْس بوجودِك ولا غَيْر وجودِك ؛ فَلَسْتَ بِمَوْجُود ولا بِمَعْدُوم ولا غَيْر موجود ولا غَيْر معدوم ، وُجُودُك وعَدَمُك وُجُودُه بلا وُجُود ولا عَدَم ؛ لأنَّ عَيْنَ وجودِك وعَدَمِك وُجُودُه ، ولأنَّ عَيْنَ وجودِه وجودُك وعَدَمُك .

فإنْ رَأَيْتَ الأشياءَ بِلا رُؤْيَةِ شَيْءٍ آخَر مع اللَّه تعالى وفي اللَّه أَنَّهَا هو فَقَدْ عَرَفْتَ نَفْسَك ؛ فإنَّ معرفة النَّفْس بِهَذِهِ الصِّفَة هي معرفة اللَّه بِلا شَكٍّ ولا رَيْب ولا تركيب شَيْءٍ مِن الْحَدَث مع الْقَدِيم وفيه وبه .

فإنْ سألك سائِل : كَيْف السَّبِيل إلى وِصَالِه ؟ فَقَدْ أَثْبَتَّ أنْ لا غَيْرَ سِوَاه ، والشَّيْءُ الْوَاحِد لا يَصِل إلى نَفْسه !

فالْجَوَاب : لا شَكَّ أنَّه في الْحَقِيقَة لا وَصْلَ ولا فَصْلَ ولا بُعْدَ ولا قُرْب ؛ لأنَّه لا يُمْكِن الْوِصَال إلاَّ بَيْن اثْنَيْن ، فإنْ لَمْ يَكُنْ إلاَّ واحِد فلا وَصْلَ ولا فَصْلَ ؛ فإنَّ الْوِصَال يَحْتَاج إلى اثْنَيْن مُتَسَاوِيَيْن فَهُمَا شِبْهَان ، وإنْ كانَا غَيْرَ مُتَسَاوِيَيْن فَهُمَا ضِدَّان ، وهو تعالى مُنَزَّه أنْ يَكُون له ضِدّ أو نِدّ ، فالْوِصَال في غَيْر الْوِصَال ، والْقُرْب في غَيْر الْقُرْب ، والْبُعْد في غَيْر الْبُعْد ، فَيَكُون وَصْلٌ بِلا وَصْلٍ وقُرْبٌ

بلا قُرْب وبُعْدٌ بلا بُعْد .

فإنْ قِيل : فَهِمْنَا الْوَصْلَ بلا وَصْل ، فَمَا مَعْنَى الْقُرْب بلا قُرْب والْبُعْد بلا بُعْد ؟

فالْجَوَاب : أَعْنِي أنّك – في أوَان القُرْب والْبُعْد – لَمْ تَكُنْ شَيْئاً سِوَاه، ولَكِنَّك لَمْ تَكُنْ عارِفاً بِنَفْسِك ولَمْ تَعْلَمْ أنّك هو بلا أنْت ، فَمَتَى وَصَلْتَ إلى اللّه تعالى – أيْ عَرَفْتَ نَفْسَك بلا وجودِ حروفِ الْعِرْفَان – عَلِمْتَ أنّك كُنْتَ إيّاه ، وما كُنْتَ تَعْرِف قَبْلُ أنّك هو أو غَيْرُه ، فإذَا حَصَل الْعِرْفَان عَلِمْتَ أنّك عَرَفْتَ اللّهَ باللّه لا بِنَفْسِك ..

مِثَال ذلك : هَبْ بمَعْنَى أنّك لا تَعْرِف بأنّ اسْمَك " مَحْمُود " أو مُسَمّاك محمود – فإنّ الاسْم والْمُسَمَّى في الْحَقِيقَة واحِد – وتَظُنّ أنّ اسْمَك " مُحَمَّد " ، وبَعْد أحيان عَرَفْتَ أنّك مَحْمُود ، فَوُجُودُك باقٍ ، واسْم " مُحَمَّد " ومُسَمَّى الْمَحْمُود ارْتَفع عَنْك بمَعْرِفَتِك نَفْسَك أنّك مَحْمُود ، ولَمْ تَكُنْ مُحَمَّداً إلاَّ بالْفَنَاء عَنْ نَفْسِك ؛ لأنّ الْفَنَاء يَكُون بَعْد إثْباتِ وجودِ ما سِوَاه ، ومَنْ أَثْبَتَ وجودَ ما سِوَاه فَقَدْ أشْرَكَ به ﷻ ، فَمَا نَقَص مِنَ الْمَحْمُود شَيْء ، ولا مُحَمَّد فَنِي في الْمَحْمُود ولا دَخَل فيه ولا خَرَج مِنه ، ولا حَلَّ مَحْمُود في مُحَمَّد ، فَبَعْدَمَا عَرَف الْمَحْمُودُ نَفْسَه أنّه مَحْمُود لا مُحَمَّد عَرَف نَفْسَه بِنَفْسِه لا بِمُحَمَّد ؛ لأنّ مُحَمَّداً ما كان ، فَكَيْف يَعْرِف به شَيْئاً كائناً ؟!

فإذَنْ .. الْعَارِف والْمَعْرُوف واحِد ، والْوَاصِل والْمَوْصُول واحِد ، والرّائي والْمَرْئِيّ واحِد : فالْعَارِف صِفَتُه والْمَعْرُوف ذاتُه، والْوَاصِل صِفَتُه والْمَوْصُول ذاتُه ، والصِّفَة والْمَوْصُوف واحِد .

هذا بَيَان ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ ، فَمَنْ فَهِم هذا الْمِثَالَ عَلِم أنّه لا وَصْلَ ولا فَصْلَ ، وعَلِم أنّ الْعَارِف هو والْمَعْرُوفَ هو ، والرّائي هو والْمَرْئِيّ هو ، والْوَاصِل هو والْمَوْصُول هو ؛ فَمَا وَصَل إليه غَيْرُه ، وما انْفَصَل عَنْه غَيْرُه ، فَمَنْ فَهِم ذلك خَلَص مِنْ شَرَك الشِّرْك وإلاّ فَلَمْ يَشُمّ رائحةَ الْخَلاَص مِنَ الشِّرْك .

وأَكْثَرُ الْعُرّاف الذين ظَنّوا أنّهُمْ عَرَفُوا نُفُوسَهُمْ وعَرَفُوا رَبَّهُمْ وأنّهُمْ خَلَصُوا مِن غفلة الْوُجُود قالوا :" إنّ الطّرِيق لا تَتَيَسَّر إلاّ بالْفَنَاء وبفَنَاء الْفَنَاء " ؛ وذَلِك لِعَدَم فَهْمِهِمْ قَوْلَ النّبيّ ﷺ ، ولِظَنِّهِمْ أنّهُمْ – بِمَحْو الشِّرْك – أَشَارُوا طَوْراً إلى نَفْي

الْوُجُود – أيْ فَنَاء الْوُجُود – وطَوْراً إلى الْفَنَاء وطَوْراً إلى فَنَاء الْفَنَاء وطَوْراً إلى الْمَحْو وطَوْراً إلى الاصْطِلاَم[١] ، وهَذِه الإشارات كُلُّهَا شِرْك مَحْض ؛ فإنّ مَنْ جَوَّز أنْ يَكُون شَيْءٌ سِوَاه ويَفْنَى بَعْدَه وجَوَّز فَنَاءَ فَنَائه فَقَدْ أثْبَتَ شَيْئاً سِوَاه ، ومَنْ أثْبَتَ شَيْئاً سِوَاه فَقَدْ أشْرَكَ به تعالى ، أرْشَدَهُمُ اللّه وإيّانَا إلى سَوَاء السَّبِيل .

ظَنَنْتَ ظُنُوناً بأنَّكَ أنْتَ ... ومَا أنْ تَكُونَ ولاَ قَطُّ كُنْتَ
فإنْ أنْتَ أنْتَ فإنَّكَ رَبٌّ ... وثَانِي اثْنَيْنِ دَعْ مَا ظَنَنْتَ
فَلاَ فَرْقَ بَيْنَ وُجُودَيْكُمَا ... فَمَا بَانَ عَنْكَ ولاَ عَنْهُ بِنْتَ
فإنْ قُلْتَ جَهْلاً بأنَّكَ غَيْرُهُ ... حَسُنْتَ وإنْ زَالَ جَهْلُكَ كُنْتَ
فَوَصْلُكَ هَجْرٌ وهَجْرُكَ وَصْلٌ ... وبُعْدُكَ قُرْبٌ بِهَذَا حَسُنْتَ
دَعِ الْعَقْلَ وافْهَمْ بِنُورِ الْكِشَافِ ... لَيْلَى تَفُوقُ مَا عَنْهُ وَصَفْتَ
ولاَ تُشْرِكْ مَعَ اللّهِ شَيْئاً ... لِئَلاَّ تَهُونَ فَالشِّرْكُ هُنْتَ

فإنْ قال قائل : أنْت تُشِير إلى أنّ عِرْفَانَك نَفْسَك هو عِرْفَان اللّه تعالى ، والعارف بِنَفْسه غَيْر اللّه ، وغَيْر اللّه كَيْف يَعْرِف اللّهَ وكَيْف يَصِل إليه ؟!

فالْجَوَاب : مَنْ عَرَف نَفْسَه عَلِم أنّ وُجُودَه لَيْس بِوُجُودِه ولا غَيْر وُجُودِه ؛ بَلْ وُجُودَه وُجُودُ اللّه بلا صَيْرُورَةِ وُجُودِه وُجُودَ اللّه بلا دُخُول وُجُودِه في اللّه ولا خُرُوج وُجُودِه عَنْه ، ولا يكون وُجُودُه معه وفيه ؛ بَلْ يَرَى وُجُودَه بحَالِه ما كان قَبْل أنْ يَكُون بلا فَنَاء ولا مَحْو ولا فَنَاء فَنَاء ؛ فإنّ فَنَاء الشَّيْء بِقُدْرَة اللّه تعالى ، وهذا مُحَال واضِح صَرِيح .

فَتَبَيَّن أنّ عِرْفَان الْعَارِف بِنَفْسِه هو عِرْفَان اللّه ﷻ نَفْسه ؛ لأنّ نَفْسَه لَيْس إلاّ هو .

---

(١) الاصطلام في اللُّغَة : الاستئصال .

وعِنْد الصُّوفِيَّة : هو نَعْتُ وَلَهٍ وغَلَبَةٍ تَرِد على الْعُقُول فيستلبها بقوّة سلطانه وقهره .

ومَرَاتِبُه كَمَا يَقُول الشَّيْخ أبو الْعَبَّاس التِّيجَانيّ ﷺ : أوّلُه ذهول عن الأكوان ، وهو الْمُعَبَّر عنه بـ" السُّكْر " ، ووَسَطُه فَنَاء عن الأكوان مع عِلْمِه بفَنَائه ، وأعْلاَه فَنَاء عن الأكوان وفَنَاء عَنْ فَنَائه ، والْمَرْتَبَة الْعُلْيَا مِنه أنْ يَشْهَد نَفْسَه عَيْنَ ذَلِك الْوُجُود ، وهو الْمُعَبَّر عنه بِـ" السَّحْق والْمَحْق " .. انْظُرْ جَوَاهِر الْمَعَاني وبُلُوغ الأمَاني ١٠٢/٢

وعَنى رَسُولُ اللّه ﷺ بالنَّفسِ الْوُجُودَ ، فَمَنْ وَصَل إلى هذا الْمَقام لَمْ يَكُنْ وجودُه في الظّاهر والْبَاطِن وجودَه ؛ بَلْ وجودُه وجودُ اللّه وكَلامُه كَلامُ اللّه وفِعْلُه فِعْلُ اللّه ، ودَعْوَاه مَعْرِفَةَ اللّه هو دَعْوَاه مَعْرِفَةَ اللّه نَفْسَه بنَفسه ، ولَكِنَّك تَسْمَع الدَّعْوَى مِنه وتَرَى الْفِعْلَ مِنه وتَرَى غَيْرَ اللّه كَمَا تَرَى نَفْسَك غَيْرَ اللّه بجَهْلِك بمَعْرِفَة نَفسك ؛ فإنّ الْمُؤْمِن مِرْآة الْمُؤْمِن[١]، فَهُو بعَيْنه أيْ يَنظُرُه ؛ فإنّ عَيْنَه عَيْنُ اللّه ونَظَرَه نَظَرُ اللّه بِلا كَيْفِيَّة ، لا هو هو بعَيْنك أو عِلْمِك أو فَهْمِك أو وَهْمِك أو ظَنِّك أو رُؤْيَتِك ؛ بَلْ هو هو بعَيْنه وعِلْمِه ورُؤْيَتِه .

فإنْ قال قائل : إنّي اللّه ؛ فإنّ اللّه يَقُول : إنِّيَ اللّه ..

فالْجَوَاب : لا هو ، ولَكِنَّك ما وَصَلْتَ إلى ما وَصَل إليه ، فإنْ وَصَلْتَ إلى ما وَصَل إليه فَهِمْتَ ما يَقُول وقُلْتَ ما يَقُول ورَأَيْتَ ما يَرَى .

وعلى الْجُمْلَة .. وُجُود الأشياء وُجُودُه بك بلا وُجُودِهِمْ ، فلا تَقْضِ في شُبْهَة ولا تَتَوَهَّمَنّ بِهَذِه الإشارات أنّ اللّه مَخْلُوق ؛ فإنّ بَعْض العارفين قال :" الصُّوفِيّ غَيْر مَخْلُوق " وذَلِك بَعْد الْكَشْف التّامّ وزَوَال الشُّكُوك والأَوْهَام ، وهَذِه اللُّقَم لِمَنْ له خَلْقٌ أَوْسَعُ مِنَ الْكَوْنَيْن ، فأمّا مَنْ كان خَلْقُه كالْكَوْنَيْن فَلاَ تُوَافِقُه ؛ فإنَّهَا أَعْظَمُ مِنَ الْكَوْنَيْن .

وعلى الْجُمْلَة .. أنّ الرّائي والْمَرْئِيّ والْوَاجِد والْمَوْجُود والْعَارِف والْمَعْرُوف والْمُوَحِّد والْمُوَحَّد والْمُدْرِك والْمُدْرَك واحِد ؛ هو يَرَى وجودَه بوجودِه ويَعْرِف وجودَه بوجودِه ويُدْرِك وجودَه بوجودِه بلا كَيْفِيَّةِ إدراكٍ ورؤيةٍ ومعرفةٍ وبلا وجودِ حُرُوفِ صورةِ الإدراك والرُّؤْيَة والْمَعْرِفَة ؛ فكَمَا أنّ وجودَه بلا كَيْفِيَّة فرُؤْيَةُ نفسه بلا كَيْفِيَّة وإدْرَاكُه نَفْسَه بلا كَيْفِيَّة ومَعْرِفَةُ نَفْسه بلا كَيْفِيَّة .

(١) وهو نَصّ حديث أَخْرَجَه أبو الشَّيْخ الأصفهانيّ في أمثال الْحَدِيث /٧٩ ، ٨٠ وفي التَّوْبِيخ والتَّنبيه /٥٦ والضِّيَاء الْمَقْدِسِيّ ٢/٤٧٢ ، ٤٧٣ والْبَزّار ٢/٢٦٩ والشِّهَاب الْقُضَاعِيّ في مُسْنَدِه ١/١٠٥ والطَّبَرَانِيّ في الأوسط ٢/٣٢٥ وتَمّام في فوائده ١/٤٣٧ وابن عَدِيّ ٦/٢٣١ عَنْ أنس بن مالِك ﷺ ، وأبو داود ٤/٤٣٢ والْبُخَارِيّ في الأدب الْمُفْرَد /٩٣ وأبو الشَّيْخ الأصفهانيّ في التَّوْبِيخ والتَّنبيه /٥٧ والْبَيْهَقِيّ ٨/١٦٧ وفي الشُّعَب ١٠/١٠٧ والآداب /٤٩ والطَّبَرَانِيّ في مكارم الأخلاق /١١٢ والشِّهَاب الْقُضَاعِيّ في مُسْنَدِه ١/١٠٦ وابن وَهْب في الْجَامِع ١/٢٠٤ ، ٢٠٤ عَنْ أبي هريرة ﷺ .

فإنْ سأل سائل وقال : بأيِّ نَظَرٍ تَنظُر إلى جَمِيع الْمَكْرُوهَات والْمَحْبُوبَات ؟! فإذَا رَأَيْنَا – مَثلاً – رَوْثاً أو جيفةً أنَقُول : هو اللّه ؟!!

فالْجَوَاب : تَعَالَى وتَقَدَّس ؛ حَاشَا ثُمّ حَاشَا أنْ يَكُون شَيْئاً مِنْ هَذِه الأشياء ! وكَلاَمُنَا مع مَنْ لا يَرَى الْجِيفَةَ جيفَةً والرَّوْثَ رَوْثاً ؛ بَلْ كَلاَمُنَا مع مَنْ له بَصِيرَة ولَيْس بأكْمَه ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَه فَهُو أكْمَه وأعْمَى ، وقَبْل ذَهَاب الأكْمَهِيَّة والْعَمَى لا يَصِل إلى هَذِه الْمَعَانِي ولا هَذِه الْمُخَاطَبَة مع اللّه لا مع غَيْر اللّه ولا مع الأكْمَه ؛ فإنّ الْوَاصِل إلى هذا الْمَقَام يَعْلَم أنّه لَيْس غَيْر اللّه ، وخِطَابُنَا مع مَنْ له عَزْم وهِمَّة في طَلَب الْعِرْفَان وفي طَلَب معرفة النَّفْس[1] ، ويَطْرَأ في قَلْبه صورة في الطَّلَب واشتياق إلى الْوُصُول إلى اللّه تعالى لا مع مَنْ لا قَصْدَ ولا مَقْصِدَ له .

فإنْ سأل سائل وقال : قال الله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2] ، وأنْت تَقُول بخِلاَفِه ، فَمَا حقيقة ما تَقُول ؟!

فالْجَوَاب : جَمِيع ما قُلْنَا هو مَعْنَى قَوْلِه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أيْ لَيْس أحَدٌ في الْوُجُود ولا بَصَرٌ مع أحَدٍ يُدْرِكُه ، فلو جاز أنْ يَكُون غَيْرُه لَجَاز أنْ يُدْرِكَه غَيْرُه ، وقَدْ نَبّه اللّه ﷻ بقَوْلِه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ على أنْ لَيْس غَيْرُه سِوَاه ؛ يَعْنِي لا يُدْرِكُه غَيْرُه بَلْ يُدْرِكُه هو ، فلا غَيْرَه إلاَّ هو ، فَهُو الْمُدْرِك لِذَاتِه لا غَيْر ، فلا تُدْرِكُه الأبصار ؛ إذْ ما الأبصار إلاَّ وجودُه ، ومَنْ

(١) قال ابن عجيبة ﷺ تعليقاً على حديث ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ : ومعناه حَقّ ؛ فإنّ مَنْ عَرَف حَقِيقَةَ نَفْسه وأنّها مَظْهَر مِنْ مَظَاهِر الْحَقّ وغاب عَنْ حِسٍّ وُجُودِه الْوَهْم فَقَدْ عَرَف رَبَّه وشَهِدَه ، فَاطْلُب الْمَعْرِفَةَ في نَفْسك ولا تَطْلُبْهَا في غَيْرك ؛ فَلَيْس الأمر عَنْك خارجاً ، ولِلّه دَرّ الشُّشْتَرِيّ في بَعْض أزْجَالِه حَيْث قَال :

وإلَيْــكَ هُــوَ السَّــيْرْ وأنْــتَ مَعْنَــى الْخَيْــرْ ومَــا دُونَــكَ غَيْــرْ

وقال أيضاً :

يَــا قاصِــداً عَــيْنَ الْخَبَــرْ	غَطَّــاهُ أيْنُــكْ
ارْجِــعْ لِــذَاتِكَ واعْتَبِــرْ	مَــا ثَــمَّ غَيْــرُكْ
الْخَيْــرُ مِنْــكَ والْخَبَــرْ	والسِّــرُّ عِنْــدَكْ

الْبَحْر الْمَدِيد ٧/٢٠٤ ، ٢٠٥

(٢) سورة الأنعام مِن الآية ١٠٣

قال " إنَّهَا لا تُدْرِكُه لأنَّهَا مُحْدَثَة ، والْمُحْدَث لا يُدْرِك الْقَدِيمَ الْبَاقِيَ " فَهُو بَعْدُ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَه ؛ إذْ لا شَيْءَ ولا الأبصار إلاَّ هو ، فَهُو يُدْرِك وجودَه بلا وجود الإدراك وبلا كَيْفِيَّة لا غَيْر .

عَرَفْـــتُ الـــرَّبَّ بـــالرَّبِّ ... بـــلاَ نَقْـــصٍ ولاَ عَيْـــب
فَـــذَاتِي ذَاتُـــه حَقّـــاً ... بـــلاَ شَـــكٍّ ولاَ رَيْـــب
ولاَ صَـــيْرَانِ بَيْنهمَـــا ... فَنفْســـي مَظْهَـــرُ الْغَيْـــب
ومُنْـــذُ عَرَفْتُـــهُ نَفْســـي ... بـــلاَ مَـــزْجٍ ولاَ شَـــوْب
وَصَـــلْتُ وَصْـــلَ مَحْبُـــوبِي ... بـــلاَ بُعْـــدٍ ولاَ قُـــرْب
ونلْـــتُ عَطَـــاءَ ذِي فَـــيْضٍ ... بـــلاَ مَـــنٍّ ولاَ سَـــلْب
ولاَ فَنِيَـــتْ لَـــهُ نَفْســـي ... ولاَ يَبْقَـــى لَـــهُ ذَوْب

فإنْ سأل سائل وقال : أَنْت أَثْبَتَّ اللّه وتَنْفِي كُلَّ شَيْء ، فَمَا هذه الأشياء التي تَرَاهَا ؟!

فالْجَوَاب : هَذِه الْمَقَالاَت مع مَنْ لا يَرَى سِوَى اللّه شَيْئاً ، ومَنْ يَرَى شَيْئاً سِوَى اللّه فَلَيْس لَنَا معه جَوَاب ولا سُؤَال ؛ فإنَّه لا يَرَى غَيْرَ ما يَرَى ، ومَنْ عَرَف نَفْسَه لا يَرَى غَيْرَ اللّه ، ومَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَه لا يَرَى اللّهَ تعالى ، وكُلّ إناء يَرْشَح بمَا فِيه ، وقَدْ شَرَحْنَا كَثِيراً مِنْ قَبْلُ ، وإنْ نَشْرَحْ أَكْثَرَ مِنْ ذلك فَمَنْ لا يَرَى لا يَرَى ولا يَفْهَم ولا يُدْرِك ، ومَنْ يَرَ يَرَ ويَفْهَم ويُدْرِك ، فَالْوَاصِل تَكْفِيه الإشَارَة ، وغَيْر الْوَاصِل لا يَصِل لا بالتَّعْلِيم ولا بالتَّفْهِيم ولا بالتَّقْرِير ولا بالْعَقْل ولا بالْعِلْم إلاَّ بخِدْمَة شَيْخ فاضِل وأستاذ حاذِق وسالِك ؛ لِيَهْتَدِي بنُورِه ويَسْلُك بهِمَّتِه ويَصِل به إلى مقصودِه إنْ شاء اللّه تعالى .

وَفَّقَنَا اللّه لِمَا يُحِبّ ويَرْضَى مِنَ الْقَوْل والْفِعْل والْعِلْم والْعَمَل والنُّور والْهُدَى ؛ إنَّه على كُلِّ شَيْءٍ قَدِير وبالإجابة جَدِير ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللّهِ الْعَلِيّ الْعَظِيم ، وصَلَّى اللّه على سَيِّدِنَا مُحَمَّد وآلِه وصَحْبه الْمُحِبِّين وسَلَّم تَسْلِيماً كَثِيراً .

في بيان الطَّريق وبيان السّالك والْمَسْلُوك إلَيْه وبَيَان عَلامَاتِهَا

ابتداؤهَا السُّلُوك ، وانتهاؤهَا الأَوَّل في انتهاء السُّلُوك وابتدائهَا الآخِر ، فإنْ لَمْ تَفْهَمْ هَذِه الإشارةَ ما شَمَمْتَ رائحةَ التَّوْحِيد .

وأَصْل الْمَقْصُود وجود الدّائرَة الْمُدَوَّرَة لا خارِجَهَا ولا داخِلَهَا ، ابتداء الدّائرة انتهاؤهَا ، وانتهاؤهَا ابتداؤهَا ، والدّائرة طَرِيق السَّيْر في الْوُجُود في معرفة النَّفْس ، الْوُجُود هو الْمَنْزِل سَعَةً ، تَبْتَدِئ الطَّرِيق ، ولَكِنَّه لا يَعْرِف ولا يَعْلَم ، ويَرَى وجودَه غَيْرَ اللّه ، فَمَتَى وَصَل نَفْسَه - أيْ وجودَه - بلا شَكٍّ ولا ارتياب تَبَيَّن له سَعَةً أنّه كان واصِلاً في الابتداء أو موصولاً ولَكِنَّه لا يَعْرِف الْوُصُولَ ، ولِذَلِك قال النَّبِيّ ﷺ ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ ، والنَّبِيّ ﷺ عَرَف في الابتداء وسَلَك الطَّرِيقَ بالْمَعْرِفَة ، ولِهَذَا ابتداؤه انتهاءُ الصِّدِّيقِين ، وانتهاءُ الصِّدِّيقِين ابتداؤه ؛ لأَنَّهُمْ عَرَفُوا الأسرارَ في الانتهاء ، وشَتّان بَيْن مَنْ تَقَدَّم في الابتداء ومَنْ تَقَدَّم في الانتهاء ؛ فابتداء الْعِشْق وجود الْمَقْصُود وشوق إرادة الْمَقْصُود ، الْعِشْق هو والشَّوْق أَنْت ، ابتداء الْعِشْق الشَّوْق ، وانتهاء الشَّوْق الْعِشْق ، فَافْهَمْ ذلك .

لَيْس في الْمَقَام مَقَام أَعْلَى وأَجَلّ في الابتداء مِنَ الْعِشْق ؛ لأنّ جَمِيع ما ذَكَرْناه - وجود الْعِشْق واسْم الْعِشْق وصورة الْعِشْق ومَعْنَاه - الْعِشْق ومقصود الْعِشْق ، والدّائرة وجَمِيع ما داخِلَهَا وخارِجَهَا الْعِشْق أَعْنِي الْعِشْق الْمُعَرَّى مِنَ الْعِشْق واسْمِه ، فَافْهَمْ .

الشَّوْق وجودُه ، واسْمُه لَيْس بِمُحْدَث ولا بقَدِيم ؛ بَلْ هو هو بلا حَدَثَان وقِدَم ، الشَّوْق يَصِير في الابتداء عِشْقاً ، وصاحِب الشَّوْق مَتَى وَصَل إلى الانتهاء يَرَى شَوْقَه عِشْقاً ويَعْرِف أنّ شَوْقَه كان وجودَ الْعِشْق ولَكِنَّه لَمْ يَعْرِفْه ، ويَرَى جَمِيعَ الْمُكَوَّنَات وجودَ الْعِشْق والْمَعْشُوق والْعَاشِق ، ولا يَرَى بَيْنَه وبَيْن جَمِيع الْمَخْلُوقَات تَفَاوُتاً ، ويَرَى جَمِيعَ الْمَخْلُوقَات وجودَه ، ولا يُرَجِّح نَفْسَه بالْوَصْل على مَنْ لَمْ يَشُمّ رائحةَ الْوُصُول قَطّ ، ولا فَرْقَ بَيْنَه وبَيْن الْحَيَوَانَات والْجَمَادَات

وبَيْن الشَّيْء وضِدِّه ، وهَذِه صِفَةُ مَنْ يَكُون وجودُه الْمَوْصُول لا صِفَةَ الْوَاصِل والْوِصَال والْوَصْل ولا صِفَةَ الْعَاشِق والْعِشْق بَلْ صِفَة الْمَعْشُوق ؛ لأنّ التَّفاوُت بَيْن هَذِه الأشياء يَكُون في نَظَرِ مَنْ لَيْس له نَظَرٌ بَعْدُ ، وأمَّا مَنْ له نَظَر فلا تَفَاوُتَ بَيْنَهَا ، بَلِ الْجَمِيع سَوَاء عِنْد اللّه ، واللّه أَعْلَم بالصَّوَاب .

تَمَّت الرِّسَالَة الْوُجُودِيَّة بعَوْن اللّه تعالى ومَنِّه وكَرَمِه ولُطْفِه ، وباللّه التَّوْفِيق ، والْحَمْد لِلّه وَحْدَه ، وصَلّى اللّه على سَيِّدِنَا مُحَمَّد وآلِه وصَحْبِه وسَلَّم .

الْقَـــوْل الأَشْــبَه في حَــدِيث
﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾

تـــألـــيـــف

الْحَافِظ جَلَال الدِّين السُّيُوطِيّ رضي الله عنه

(الْمُتَوَفَّى سَنَة ٩١١ هـ)

التَّعْريف بمؤَلِّف رسالة الْقَوْل الأَشْبَه

– هو خَاتِمَة الْحُفَّاظ الشَّيْخ جَلاَل الدِّين أبو الْفَضْل عَبْد الرَّحْمَن بن كَمَال الدِّين أَبي بَكْر بن مُحَمَّد بن سابِق الدِّين الْخُضَيْرِيّ السُّيُوطِيّ الشَّافِعِيّ ﷺ ..

الشَّيْخ الْعَلاَّمَة الإمام الْمُحقق الْمُدَقِّق الْمُسْنِد ، صاحِب الْمُؤَلَّفات الْجامِعَة والْمُصَنَّفَات النَّافِعَة ..

– كان ﷺ يُلَقَّب بـــ" ابن الْكُتُب " لأنَّ أَبَاه طَلَب مِنْ أُمِّه أنْ تَأْتِيَه بِكِتَاب فَفَاجَأَهَا الْمَخَاض فَوَلَدَتْه بَيْن الْكُتُب .

– وُلِد ﷺ بَعْد الْمَغْرِب في مُسْتَهَلّ رَجَب سَنَةَ ٨٤٩ هـــ ، وتُوُفِّي والِدُه وله مِن الْعُمُر خَمْس سَنَوات وسَبْعَة أَشْهُر ..

– خَتَم ﷺ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وهو دُون ثَمَانِ سِنِين ، ثُمّ حَفِظ عُمْدَة الأَحْكَام ومِنْهَاج النَّوَوِيّ وأَلْفِيَّة ابن مالِك ومِنْهَاج الْبَيْضَاوِيّ ، وعَرَض ذَلِك على عُلَمَاء عَصْرِه وأَجَازُوه .

– أَخَذ ﷺ عَنِ الْجَلاَل الْمَحَلِّيّ والْعُقْبِيّ ، وأَحْضَرَه والِدُه مَجْلِسَ الْحَافِظ ابن حَجَر الْعَسْقَلاَنِيّ ، ولَزِم الشَّرَفَ الْمُنَاوِيَّ إلى أنْ مات ، وقَرَأ عَلَيْه ما لا يُحْصَى ، وأَخَذ عَنْ أَكَابِر عُلَمَاء عَصْرِه ..

وقَدْ أَخْبَر ﷺ عَنْ نَفسه أنَّه أَخَذ الْعِلْمَ عَنْ سِتِّمِائة نَفْس نَظَمَهُمْ في أُرْجُوزَة ، واسْتَقْصَى تِلْمِيذُه الشَّمْسُ الدَّاوُدِيُّ أَسْمَاءَ مُؤَلَّفَاتِه الْحَافِلَة الْكَثِيرَة الْكَامِلَة الْجَامِعَة النَّافِعَة الْمُتْقَنَة الْمُحَرَّرَة الْمُعْتَبَرَة فَقَارَبَتِ السِّتَّمِائَة مُؤَلَّف ، ولو لَمْ يَكُنْ له مِنَ الْكَرَامَات إلاَّ كَثْرَة الْمُؤَلَّفات مع تَحْرِيرِهَا وتَدْقِيقِهَا لَكَفَى ذَلِك شاهِداً لِمَنْ يُؤْمِن بالْقُدْرَة ..

– حَجّ ﷺ سَنَةَ ٨٦٩ هـــ ، وشَرِب مِنْ ماء زَمْزَم لأُمُور عِدَّة ، مِنْهَا : أنْ يَصِل في الْفِقْه إلى رُتْبَة السِّرَاج الْبُلْقِينِيّ ، وفي الْحَدِيث إلى رُتْبَة الْحَافِظ ابن حَجَر ..

– وكان ﷺ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانه بعِلْم الْحَدِيث وفُنُونه رِجَالاً وغَرِيباً ومَتْناً وسَنَداً واسْتِنْبَاطاً لِلأَحْكَام مِنْه ، وأَخْبَر عَنْ نَفْسه أنَّه يَحْفَظ مِائَتَيْ أَلْف حَدِيث ، وقال : ولو وَجَدْتُ أَكْثَر لَحَفِظْتُه .

– ورُؤِي النَّبيُّ ﷺ في الْمَنَام والسُّيُوطِيّ يَسْأَلُه عَنْ بَعْض الأَحَادِيث والنَّبِيُّ ﷺ يَقُول له :(هَاتِ يَا شَيْخَ السُّنَّة) ..

ورَأَى هو بِنَفْسه هَذِه الرُّؤْيَا والنَّبِيُّ ﷺ يَقُول له :(هَاتِ يَا شَيْخَ الْحَدِيث) .

– ورُوِي عَنْه رضي الله عنه أنّه رَأَى رَسُولَ اللّه ﷺ يَقَظَةً أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِين مَرَّةً[1] .

– كان رضي الله عنه لا يَتَرَدَّد إلى السُّلْطَان ولا إلى غَيْرِه ، وطَلَبه السُّلْطَان مِراراً فَلَمْ يَحْضُرْ إلَيْه ، وكان الأُمَرَاء والأَغْنِيَاء يَأْتُون إلى زِيَارَته رضي الله عنه ويَعْرِضُون عَلَيْه الأَمْوَالَ النَّفِيسَة فَيَرُدُّهَا ، وأَهْدَى إلَيْه السُّلْطَان قَنصُوَة الْغُورِيّ خَصِيّاً وأَلْفَ دِينَار فَرَدّ الأَلْفَ دِينَار وأَخَذ الْخَصِيَّ فَأَعْتَقَه وجَعَلَه خادماً في الْحُجْرَة النَّبَوِيَّة ، وقال لِرَسُول السُّلْطَان : لا تَعُدْ تَأْتِينَا بِهَدِيَّة قَطّ ؛ فإنّ اللّه تَعَالَى أَغْنَانَا عَنْ مِثْل ذَلِك .

– وقال الشَّعْرَانِيّ : أَخْبَرَنِي الشَّيْخ أَمِين الدِّين – الإمام بِجَامِع الْغَمْرِيّ – قال : سَمِعْتُ الشَّيْخَ جَلَالَ الدِّين[2] يَقُول سَنَةَ عَشْرَة وتِسْعِمِائَة : اسْمَعْ مِنِّي هَذَا الْكَلَامَ ولا تُخْبِرْ بِذَلِك أَحَداً حَتَّى أَمُوت : يَدْخُل سَلِيم بن عُثْمَان مِصْرَ افْتِتَاحَ عام ثَلَاث وعِشْرِين وتِسْعِمِائَة ، ويَبْدُو خَرَاب مِصْر وتَنْقَرِض بَيَاضَاتُهَا مِنْ ذَوِي الْبُيُوت سَنَةَ ثَلَاث وثَلَاثِين ، فَمَا يَصِير أَحَد يُشَارِك إلَيْه مِنْهُمْ ، وتَخْرُب خَرَاباً وَسِيطاً سَنَةَ سَبْع وخَمْسِين ، ويَقِف خَرَاج غالِب رِزْقِهَا وتَخْرُب خَرَاباً شَدِيداً أَشَدَّ مِنْ ذَلِك سَنَةَ سَبْع وستِّين ..

قُلْتُ[3] : وسَمِعْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ الشَّيْخ أَمِين الدِّين سَنَةَ خُرُوج السُّلْطَان الْغُورِيّ لِقِتَال السُّلْطَان سَلِيم ، فَأَخْبَرْتُ بَعْضَ الْعُلَمَاء الذين يُنْكِرُون على الشَّيْخ جَلَال الدِّين بِذَلِك فَقَال :" هَذَا أَمْر لا يَجُوز تَصْدِيقُه " ، فَلَمَّا قُتِل الْغُورِيّ ودَخَل عَسْكَرُ السُّلْطَان سَلِيم افْتِتَاحَ عام ثَلَاث وعِشْرِين ...

ثُمّ قال الشَّعْرَانِيّ : وقَدْ صَدَق الشَّيْخ في الْعَلَامَة الثَّانِيَة والثَّالِثَة ، ووَقَف خَرَاج مِصْر في سَنَة سَبْع وخَمْسِين ، وبَقِيَتِ الْعَلَامَة الرَّابِعَة ، واللّه تَعَالَى أَعْلَم[4] .

---

(١) انْظُر النُّور السَّافِر /٥٢ والْكَوَاكِب السَّائِرَة /١٤٤

(٢) أي السُّيُوطِيّ .

(٣) أي الشَّعْرَانِيّ .

(٤) الطَّبَقَات الصُّغْرَى /٣٠ ، ٣١ ، وانْظُر الْكَوَاكِب السَّائِرَة /١٤٤

- مِنْ مُصَنَّفَاته ﷺ : الدُّرّ الْمَنْثُور في التَّفْسير بالْمَأْثُور ، لُبَاب النُّقُول في أَسْبَاب النُّزُول ، الإتْقَان في عُلُوم الْقُرْآن ، الْجَامِع الْكَبِير ، الأَزْهَار الْمُتَنَاثِرَة في الأَحَادِيث الْمُتَوَاتِرَة ، إنْبَاء الأَذْكِيَاء بحَيَاة الأَنْبِيَاء ، تَنْزِيه الأَنْبِيَاء عَنْ تَسْفِيه الأَغْبِيَاء ، تَحْذِير الْخَوَاصّ مِنْ أَكَاذِيب الْقُصَّاص ، تَدْرِيب الرَّاوِي في شَرْح تَقْرِيب النَّوَاوِي ، مَنَاهِل الصَّفَا في تَخْرِيج أحاديث الشِّفَا ، الْحَبْل الْوَثِيق في نُصْرَة الصِّدِّيق ، إلْقَام الْحَجَر لِمَنْ زَكَّى سَابَّ أبي بَكْر وعُمَر ، تَزْيين الأَرَائك في إرْسَال النَّبيّ ﷺ إلى الْمَلائك ، الْجَامِع الصَّغِير في أحاديث الْبَشِير النَّذِير ، النُّكَت الْبَدِيعَات على الْمَوْضُوعَات ، الْحَاوِي لِلْفَتَاوَى ، الرَّدّ على مَنْ أَخْلَد إلى الأَرْض وجَهِل أنّ الاجْتِهَاد في كُلّ عَصْر فَرْض ، الرِّيَاض الأَنِيقَة في شَرْح أَسْمَاء خَيْر الْخَلِيقَة ، زَهْر الْخَمَائل على الشَّمَائل ، إرْشَاد الْمُهْتَدِين إلى نُصْرَة الْمُجْتَهِدِين ، بُشْرَى الْكَئِيب بِلِقَاء الْحَبِيب ، تُحْفَة الأَبْرَار بنُكَت الأَذْكَار ، سِهَام الإصابة في الدَّعَوَات الْمُسْتَجَابَة[١] ، الْخَبَر الدَّالّ على وُجُود الْقُطْب والأَوْتَاد والنُّجَبَاء والأَبْدَال[١] ، الْبَاهِر في حُكْم النَّبيّ ﷺ بالْبَاطِن والظَّاهِر[١] ، إحْيَاء الْمَيْت بفَضَائل آل الْبَيْت[١] ، مَسَالِك الْحُنَفَا في وَالِدَي الْمُصْطَفَى[٢] ، نَشْر الْعَلَمَيْن الْمُنِيفَيْن في إحياء الأَبَوَيْن الشَّرِيفَيْن[٢] ، الدَّرَج الْمُنِيفَة في الآبَاء الشَّرِيفَة[٢] ، الْفَوَائد الْكَامِنَة في إيمَان السَّيِّدَة آمِنَة والتَّعْظِيم والْمِنَّة في أنّ أَبَوَي الْمُصْطَفَى ﷺ في الْجَنَّة[٢] ، الْمَقَامَة السُّنْدُسِيَّة في النِّسْبَة الْمُصْطَفَوِيَّة[٢] ، السُّبُل الْجَلِيَّة في الآبَاء الْعَلِيَّة[٢] ، كِفَايَة الطَّالب اللَّبِيب في خَصَائِص الْحَبِيب[٣] ، أُنْمُوذَج اللَّبِيب في خَصَائص الْحَبِيب[٣] ، تَأْيِيد الْحَقِيقَة الْعَلِيَّة وتَشْيِيد الطَّرِيقَة الشَّاذِلِيَّة[٣] ، تَنْبِيه الْغَبِيّ بتَبْرِئَة ابن عَرَبِيّ[٣] ، نَتِيجَة الْفِكْر في الْجَهْر بالذِّكْر[٣] ، الْمِنْحَة في السُّبْحَة[٣] ، الثُّغُور الْبَاسِمَة في مَنَاقِب السَّيِّدَة فَاطِمَة[٣] ، قَمْع الْمُعَارِض في نُصْرَة ابن الْفَارِض[٣] ، نُزْهَة الْمُتَأَمِّل ومُرْشِد الْمُتَأَهِّل[٣] ، شَرْح الصُّدُور بِشَرْح

(١) وقَدْ أَكْرَمَني اللّه تعالى بتَحْقِيق هَذِه الْكُتُب ونَشْرِهَا .

(٢) وقَدْ أَكْرَمَني اللّه تعالى بجَمْع وتَحْقِيق هذه الرَّسَائل السِّتّ في والِدَي الْمُصْطَفَى ﷺ في كِتَاب واحِد باسْم " إيمان وفَضْل الأَبَوَيْن الشَّرِيفَيْن " .

(٣) أَسْأَل اللّه تعالى أنْ يُتَمِّم إكْرَامَه بإكْمَال تَحْقِيق هَذِه الْكُتُب وغَيْرِهَا مِنْ تُرَاث إمَامِنَا الْفَذّ الْحَافِظ السُّيُوطِيّ ﷺ .

أَحْوَال الْمَوْتَى والْقُبُور ، الْفَلَك الدَّوَّار في فَضْل اللَّيْل على النَّهَار ، حُسْن الْمَقْصِد في عَمَل الْمَوْلِد ، الْجَوَاب الأَرْشَد في تَنْكِير الأَحَد وتَعْرِيف الصَّمَد ، دَاعِي الْفَلاَح في أَذْكَار الْمَسَاء والصَّبَاح ، تَنْوِير الْحَلَك في إمْكَان رُؤْيَة النَّبِيّ والْمَلَك ، الْقَوْل الْمُحَرَّر في تَفْسِير قَوْلِه تَعَالَى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ، تَنْوِير الْحَوَالِك شَرْح مُوَطَّأ مالِك ، الأَشْبَاه والنَّظَائِر في الْفِقْه ، الْفَارِق بَيْن الْمُصَنِّف والسَّارِق ، فَضْل الْجَلَد عِنْد فَقْد الْوَلَد ، تاريخ الْخُلَفَاء ، الْمَعَانِي الدَّقِيقَة في إدْرَاك الْحَقِيقَة ، الْعَرْف الْوَرْدِيّ في أَخْبَار الْمَهْدِيّ .

– تُوُفِّي ﷺ سَحَرَ لَيْلَة الْجُمُعَة تاسِعَ عَشَرَ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ٩١١ هـ في مَنْزِله بِرَوْضَة الْمِقْيَاس عَنْ إحْدَى وسِتِّين سَنَةً وعَشْرَة أَشْهُر وثَمَانِيَة عَشَر يَوْماً ، ودُفِن في حوش قُوصُون خارِجَ باب الْقَرَافَة بالْقَاهِرَة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْد لِلّه ، وسَلاَم على عِبَادِه الذين اصْطَفَى ..

وبَعْـدُ .. فَقَدْ كثُر السُّؤَال عَنْ معنى الْحَدِيث الذي اشْتَهَر على الألسنة ﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾ ، ورُبَّمَا فُهِم مِنْه معنى لا صِحَّةَ له ورُبَّمَا نُسِب إلى قَوْم أكابر ، فَرَقَمْتُ في هَذِه الْكُرَّاسَة ما يُبَيِّن الْحَال ويُزِيل الإشْكَال ..

وفيه مقالان :

الْمَقَال الأَوَّل : أنّ هذا الْحَدِيث لَيْس بِصَحِيح ..

وقَدْ سُئِل عَنْه النَّوَوِيّ[١] في فتاويه فقال : إنَّه لَيْس بِثَابِت[٢] .

وقال ابن تيمية[٣] : موضوع[٤] .

---

(١) النَّوَوِيّ : هو شَيْخ الإسلام مُحْيِي الدِّين أبو زَكَرِيَّا يَحْيَى بن شَرَف بن مُرِّيّ الْحِزَامِيّ الدِّمَشْقِيّ الشَّافِعِيّ ﷺ ، الإمام الْفَقِيه الْمُحَدِّث الْعَلاَّمَة ، وُلِد في نَوَى مِنْ أعمال دِمَشْق سَنَة ٦٣١ هـ ، أَخَذ عَنْ كَمَال الدِّين سَلاَّر الإِرْبَلِيّ وعَبْد الرَّحْمَن بن نُوح الْمَقْدِسِيّ وكَمَال الدِّين إسْحَاق الْمَغْرِبِيّ ، وأَخَذ عَنْه ابن الْعَطَّار ويُوسُف بن حَرْب وشَمْس الدِّين بن النَّقِيب ..

مِنْ مُصَنَّفَاتِه : بُسْتَان الْعَارِفِين ، رِيَاض الصَّالِحِين ، الأَذْكَار ، شَرْح صَحِيح مُسْلِم ، الْمَجْمُوع شَرْح الْمُهَذَّب ، التَّقْرِيب والتَّيْسِير لِمَعْرِفَة سُنَن الْبَشِير النَّذِير .

تُوُفِّي ﷺ بـ" نَوَى " سَنَة ٦٧٦ هـ .

(٢) انْظُرْ فَتَاوَى النَّوَوِيّ /١٣٦

(٣) ابن تَيْمِيَة : هو تَقِيّ الدِّين أبو الْعَبَّاس أَحْمَد بن عَبْد الْحَلِيم بن عَبْد السَّلاَم النُّمَيْرِيّ الْحَرَّانِيّ الدِّمَشْقِيّ الْحَنْبَلِيّ رحمه الله ، وُلِد سَنَة ٦٦١ هـ ..

قال عَنْه الشَّيْخ أَحْمَد زَرُّوق ﷺ : ابن تَيْمِيَة رَجُل مُسَلَّم له باب الْحِفْظ والإتْقَان ، مَطْعُون عليه في عقائد الإيمان ، مَلْمُوز بِنَقْص الْعَقْل فَضْلاً عن الْعِرْفَان ، وقَدْ سُئِل عَنْه الشَّيْخ الإمام تَقِيّ الدِّين السُّبْكِيّ فقال : هو رَجُل عِلْمُه أَكْبَر مِنْ عَقْلِه .. شَرْح حِزْب الْبَحْر /٣٤

مِنْ مُصَنَّفَاتِه : الصَّارِم الْمَسْلُول على شاتِم الرَّسُول ، فَصْل الْمَقَال فِيمَا بَيْن الْحِكْمَة والشَّرِيعَة مِنْ الاتِّصَال ، الْجَوَاب الصَّحِيح لِمَنْ بَدَّل دِينَ الْمَسِيح .

تُوُفِّي رحمه الله بدِمَشْق سَنَة ٧٢٨ هـ .

(٤) قال ابن تيمية رحمه الله : وبَعْض النَّاس يَرْوِي هَذَا عَنِ النَّبِيّ ﷺ ، ولَيْس هَذَا مِنْ كَلاَم النَّبِيّ ﷺ ، ولا هو في شَيْء مِنْ كُتُب الْحَدِيث ، ولا يُعْرَف له إسْنَاد ، ولَكِنْ يُرْوَى في بَعْض الْكُتُب الْمُتَقَدِّمَة إنْ صَحّ :" يَا إنْسَانُ .. اعْرِفْ نَفْسَك تَعْرِفْ رَبَّك " .. مَجْمُوع الْفَتَاوَى ٣٤٩/١٣

وقال الزَّرْكَشِيّ(١) في " الأحاديث الْمُشْتَهِرَة " : ذَكَر ابن السَّمْعَانِيّ(٢) أنَّه مِنْ كَلَام يَحْيَى بن مُعَاذ الرَّازِيّ(٣) (٤) (٥) (٦) (٧) .

(١) الزَّرْكَشِيّ : هو بَدْر الدِّين أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن بَهَادِر بن عَبْد الله الْمِنهَاجِيّ التُّرْكِيّ الْمِصْرِي الشَّافِعِيّ رحمه الله ، الْفَقِيه الأُصُولِيّ الْمُحَدِّث الأَدِيب ، وُلِد بالْقَاهِرَة سَنَة ٧٤٥ هـ ، أَخَذ عَنْ جَمَال الدِّين الإِسْنَوِيّ ومُغُلْطَاي وعِمَاد الدِّين بن كَثِير ، وأَخَذ عَنْه شَمْس الدِّين الْبِرْمَاوِيّ وكَمَال الدِّين الشُّمُنِّيّ وسِرَاج الدِّين الْوَرْوَرِيّ .

مِنْ مُصَنَّفَاته : الْبَحْر الْمُحِيط ، تَشْنِيف الْمَسَامِع ، الْبُرْهَان في عُلُوم الْقُرْآن ، اللآلئ الْمَنْثُورَة في الأَحَادِيث الْمَشْهُورَة ، الْمَنْثُور في الْقَوَاعِد .

تُوُفِّي رحمه الله بمِصْر سَنَة ٧٩٤ هـ ، ودُفِن بالْقَرَافَة الصُّغْرَى .

(٢) ابن السَّمْعَانِيّ : هو أبو الْمُظَفَّر منصور بن مُحَمَّد بن عبد الْجَبَّار بن أَحْمَد بن مُحَمَّد التَّمِيمِيّ السَّمْعَانِيّ الْمَرْوَزِيّ الْحَنَفِيّ ثُمّ الشَّافِعِيّ رحمه الله ، الإمام الْعَلاَّمَة مُفْتِي خُرَاسَان شَيْخ الشَّافِعِيَّة ، وَحِيد عَصْره في وَقْته فَضْلاً وطَرِيقَةً ، وزُهْداً ووَرَعاً ، وُلِد سَنَة ٤٢٦ هـ ، أَخَذ عَنْ أبيه أبي مَنْصُور السَّمْعَانِيّ وأبي غانم الْكُرَاعِيّ وأبي الْقَاسِم الزَّنْجَانِيّ ، وأَخَذ عَنْه أَوْلاَده وعُمَر بن مُحَمَّد السَّرْخَسِيّ ومُحَمَّد بن أبي بَكْر السِّنْجِيّ وإِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد التَّيْمِيّ ..

مِنْ مُصَنَّفَاته : الْبُرْهَان ، الاصْطِلاَم ، الْقَوَاطِع في أُصُول الْفِقْه ، الْقَدَر ، الانتصار بالأثر .

تُوُفِّي رحمه الله بمَرْو سَنَة ٤٨٩ هـ .

(٣) يَحْيَى بن مُعَاذ : هو أبو زَكَرِيَّا يَحْيَى بن مُعَاذ بن جَعْفَر الرَّازِيّ رضي الله عنه ، حَكِيم زمانه وواعِظ عَصْره ونَسِيج وَحْدِه في وَقْته ، أَخَذ عَنْ أبي يَزِيد الْبِسْطَامِيّ وإسحاق بن سُلَيْمَان الرَّازِيّ وحَمْدَان بن عِيسَى الْبَلْخِيّ ، وأَخَذ عَنْه أبو عثمان النَّيْسَابُورِيّ والْحَسَن بن عَلَوَيْه وأبو يعقوب الدَّارِمِيّ ، تُوُفِّي رضي الله عنه بنَيْسَابُور سَنَة ٢٥٨ هـ .

(٤) انْظُرْ قَوَاطِع الأَدِلَّة لابْن السَّمْعَانِيّ ٢/٥٩

(٥) اللآلئ الْمَنْثُورَة في الأحاديث الْمَشْهُورَة لِلزَّرْكَشِيّ /١٢٩

(٦) أَقُول : وقَدْ ذَكَرَه أبو الْفَتْح ناصِح الدِّين الآمِدِيّ في غُرَر الْحِكَم ودُرَر الْكَلِم (٧٩٤٦) على أنَّه مِنْ كَلَام سَيِّدِنا عَلِيّ كَرَّم اللَّه وَجْهَه .

(٧) قال الْعَجْلُونِيّ : وقَال ابن الْغَرْس بَعْد أنْ نَقَل عَنِ النَّوَوِيّ أنَّه لَيْس بثَابت : لَكِنَّ كُتُبَ الصُّوفِيَّة مَشْحُونَة به يَسُوقُونَه مَسَاقَ الْحَدِيث : كَالشَّيْخ مُحْيِي الدِّين بن عَرَبِيّ وغَيْره ..

كَشْف الْخَفَاء ٢/٣٤٣

أقول : وقَدْ ذَكَرَه في نَفْس السِّيَاق مرفوعاً : الْفَخْر الرَّازِيّ في تَفْسِير مَفَاتِيح الْغَيْب ١/٨١ وابن عادل في اللُّبَاب ١٩/٥٤٧ والنَّخْجَوَانِيّ في تَفْسِير الْفَوَاتِح الإِلَهِيَّة ١/٦ وإِسْمَاعِيل حَقِّيّ في روح الْبَيَان ١/٢٣٦ والْمُنَاوِيّ في التَّيْسِير بِشَرْح الْجَامِع الصَّغِير ١/١٠٠١ والإِسْفَرَايِينِيّ =

الْمَقَال الثّاني : في مَعْنَاه ..

قال النَّوَوِيّ في فتاويه : مَعْنَاه : مَنْ عَرَف نَفْسَه بالضَّعْف والافْتِقَار إلى الله والْعُبُودِيَّة له عَرَف رَبَّه بالْقُوَّة والقَهْر والرُّبُوبِيَّة والْكَمَال الْمُطْلَق والصِّفَات الْعُلْيَا[1][2] .

وقال الشَّيْخ تاج الدِّين بن عطاء اللّه[3] في " لَطَائف الْمِنَن " : سَمِعْتُ شَيْخَنَا أَبَا الْعَبَّاس الْمُرْسِيَّ[4] يَقُول : في هذا الْحَدِيث تأويلان ..

= في التَّبْصِير في الدِّين /١٦٢ والْقَارِي في مِرْقَاة الْمَفَاتِيح ٣٥٠/١ والْبَيْجُورِيّ في شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيد /١٠٠ والْعَطَّار في حاشِيَته على شَرْح الْمَحَلِّيّ على جَمْع الْجَوَامِع ٢٧٩/٦

قال الْعَجْلُونِيّ : قَال [ابْن الْغَرْس] : وذَكَر لَنَا شَيْخُنَا الشَّيْخ حِجَازِيّ الْوَاعِظ – شَارِح " الْجَامِع الصَّغِير " لِلسُّيُوطِيّ – بِأَنّ الشَّيْخ مُحْيِي الدِّين بن عَرَبِيّ مَعْدُود مِنَ الْحُفَّاظ ، وذَكَر بَعْضُ الأَصْحَاب أَنّ الشَّيْخ مُحْيِي الدِّين قَال : هَذَا الْحَدِيث وإِنْ لَمْ يَصِحّ مِنْ طَرِيق الرِّوَايَة فَقَدْ صَحّ عِنْدَنَا مِنْ طَرِيق الْكَشْف ...

وقال النَّجْم : قُلْتُ : وَقَع في " أَدَب الدُّنْيَا والدِّين " لِلْمَاوَرْدِيّ عَنْ عَائِشَة : سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : " مَنْ أَعْرَفُ النَّاسِ بِرَبِّهِ ؟ " قَال ﴿أَعْرَفُهُمْ بنفسه﴾ .. كَشْف الْخَفَاء ٣٤٣/٢

ويُرْوَى في صُحُف سَيِّدِنَا إِدْرِيس عليه السلام : مَنْ عَرَفَ الْخَلْقَ عَرَفَ الْخَالِقَ ، وَمَنْ عَرَفَ الرِّزْقَ عَرَفَ الرَّازِقَ ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّه .

(١) ثُمّ قال : ومَنْ عَرَف رَبَّه بذَلِك كَلّ لِسَانُه عَنْ بُلُوغ حقيقة شُكْرِه والثَّناء عليه كَمَا ثَبَت في صحيح مُسْلِم وغَيْرِه أنّ رسول الله ﷺ قال ﴿سُبْحَانَكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفسك﴾ ، والله أَعْلَم .. فَتَاوَى النَّوَوِيّ /١٣٦

(٢) قال الْفَخْر الرَّازِيّ : والْمَعْنَى : مَنْ عَرَف نَفْسَه بالضَّعْف والْقُصُور عَرَف رَبَّه بأنّه هو الْقَادِر على كُلّ مَقْدُور ، ومَنْ عَرَف نَفْسَه بالْجَهْل عَرَف رَبَّه بالْفَضْل والْعَدْل ، ومَنْ عَرَف نَفْسَه باخْتِلاَل الْحَال عَرَف رَبَّه بالْكَمَال والْجَلاَل .. تَفْسِير مَفَاتِيح الْغَيْب ٨٢/١

(٣) ابن عطاء الله : هو تَاج الدِّين أَبُو الْفَضْل أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الْكَرِيم بن عَطَاء الله الْجُذَامِيّ السَّكَنْدَرِيّ الْمَالِكِيّ رضي الله عنه .. أَحَد أَفْذَاذ تَلاَمِذَة الشَّيْخ أَبِي الْعَبَّاس الْمُرْسِيّ ويَاقُوت الْعَرْشِيّ ، أَخَذ عَنْه أَكَابِرُ شَاذِلِيَّة عَصْرِه ..

مِنْ مُصَنَّفَاتِه : التَّنْوِير في إِسْقَاط التَّدْبِير ، تَاج الْعَرُوس الْحَاوِي لِتَهْذِيب النُّفُوس ، مِفْتَاح الْفَلاَح ، الْحِكَم الْعَطَائِيَّة ، لَطَائف الْمِنَن في مَنَاقِب أَبِي الْعَبَّاس الْمُرْسِيّ وشَيْخِه أَبِي الْحَسَن .

تُوُفِّي رضي الله عنه بالْقَاهِرَة سَنَة ٧٠٩ هـ .

(٤) أَبُو الْعَبَّاس الْمُرْسِيّ : هو أَحْمَد بن عُمَر بن مُحَمَّد الأَنْصَارِيّ الْمَالِكِيّ رضي الله عنه .. قُطْب زَمَانه ورَأْس أَصْحَاب الإِمَام الشَّاذِلِيّ رضي الله عنه ، وُلِد سَنَةَ ٦١٦ هـ ، أَخَذ عَنْه ابْن عَطَاء الله السَّكَنْدَرِيّ ويَاقُوت الْعَرْشِيّ وعَلِيّ الْبَدَوِيّ الشَّاذِلِيّ ، تُوُفِّي رضي الله عنه بالإِسْكَنْدَرِيَّة سَنَة ٦٨٦ هـ .

أَحَدُهُمَا : أنّ مَنْ عَرَف نَفْسَه بذُلِّها وعَجزِهَا وفَقرِهَا عَرَف اللَّهَ بِعِزّتِه وقُدْرَتِه وغِناه ، فتكُون معرفة النّفْس أوّلاً ثُمّ معرفة اللّه مِنْ بَعْد(١) .

والثّاني : أنّ مَنْ عَرَف نَفْسَه فَقَدْ دَلّ ذَلِك مِنه على أنّه عَرَف اللّهَ مِنْ قَبْل .

فالأوّل حالُ السّالِكِين ، والثّاني حالُ الْمَجْذُوبين(٢) .

وقال أبو طالِب الْمَكّيّ(٣) في " قُوت الْقُلُوب " : مَعْنَاه : إذَا عَرَفْتَ صِفَاتِ نَفْسك في معامَلة الْخَلْق وأنّك تَكْرَه الاعتراضَ عَلَيْك في أفعالِك وأنْ يُعَاب عَلَيْك ما تَصْنَعُه عَرَفْتَ مِنْهَا صِفَاتِ خالِقِك وأنّه يَكْرَه ذلك ، فَارْضَ بقضائه وعامِلْه بِمَا تُحِبّ أنْ تُعَامَل به(٤) .

وقال الشّيْخ عِزّ الدِّين(٥) : قَدْ ظَهَر لِي مِن سِرّ هذا الْحَدِيث ما يَجِب كَشْفُه

---

(١) أوْحَى اللَّهَ تعالى إلى سَيِّدِنا داود عليه السلام :(اعْرِفْ نَفْسَكَ وَاعْرِفْنِي) قال :" يَا رَبِّ .. وَكَيْفَ أعْرِفُ نَفْسِي وَكَيْفَ أعْرِفُك ؟ " قال :(اعْرِفْ نَفْسَكَ بِالْعَجْزِ وَالضّعْفِ وَالْفَنَاء ، وَاعْرِفْنِي بِالْقُوّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْبَقاء) .. ذَكَر ذَلِك الْبَغَوِيّ في مَعَالِم التّنْزِيل ١/١٥٣ والْخَازِن في لُبَاب التّأوِيل ١/١١٢ ، ١١٣ والْخَطِيب الشّرْبِينِيّ في السِّرَاج الْمُنِير ١/١٠٦ والشّيْخ إسْمَاعِيل حَقّيّ في رُوح الْبَيَان ١/٢٣٦

(٢) لطائف الْمِنَن /٣١

(٣) أبو طالِب الْمَكّيّ : هو مُحَمّد بن عَلِيّ بن عَطِيّة الْحَارِثِيّ الْعَجَمِيّ رضي الله عنه ، الإمام الزّاهِد العَارِف شَيْخ الصُّوفِيّة ، أَخَذ عَنْ أبي بَكْر الآجُرّيّ ومُحَمّد بن عَبْد الْحَمِيد الصّنْعَانِيّ وعَلِيّ ابن أحْمَد الْمَصِّيصِيّ ، وأخَذ عَنْه ابْنُه عَلِيّ وعَبْد الْعَزِيز بن عَلِيّ الأزَجِيّ وخَيْرَان بن الْحَسَن الْمُزَارِع الْبَغْدَادِيّ .

مِنْ مُصَنّفَاتِه : قُوت الْقُلُوب ، عِلْم الْقُلُوب ، أربعون حديثاً .

تُوُفّي رضي الله عنه بِبَغْدَاد سَنَة ٣٨٦ هـ ، ودُفِن بِمَقْبَرَة الْمَالِكِيّة .

(٤) قوت الْقُلُوب ١/٤٣٢

(٥) عِزّ الدِّين : هو أبو مُحَمّد عَبْد السّلام بن أحْمَد بن غانم بن عَلِيّ الْمَقْدِسِيّ الشّافِعِيّ رضي الله عنه ، الإمام الْوَاعِظ الأديب الْفَصِيح ، أخَذ عَنْ جَدّه الذي كان مِنْ سادات الشُّيُوخ وتاج الدِّين الْفَزَارِيّ وتَقِيّ بن دقيق بن الْعِيد ، وأَخَذ عَنْه أخُوه عِيسَى ونَجْم الدِّين بن الْعَنْبَرِيّ .

مِنْ مُصَنّفَاتِه : إفراد الأحد عَنْ أفراد الْعَدَد ، تَفْلِيس إبْلِيس ، كَشْف الأسرار ومَنَاقِب الأبرار ومَحَاسِن الأخيار ، الْفُتُوح الْغَيْبِيّة في الأسرار الْقَلْبِيّة ، حَلّ الرُّمُوز ومَفَاتِيح الْكُنُوز ، كَشْف الأسرار عَنْ حِكَم الطُّيُور والأزهار ، طُرُق الْوَسَائل وتَمَلُّق الرّسَائل ، دِيوَان شِعْر .

تُوُفّي رضي الله عنه بالْقَاهِرَة سَنَة ٦٧٨ هـ .

ويُسْتَحْسَن وَصْفُه : وهو أنّ اللّه ﷻ وَضَع هذه الرُّوحَ الرُّوحَانيَّةَ في هذه الْجُثَّة الْجُثْمَانيَّة لَطِيفةً لاهُوتيَّةً مُودَعَةً في كَثِيفَة ناسُوتيَّة دالَّةً على وَحْدَانيَّته ورَبَّانيَّته ..

وَوَجْه الاستدلال بذَلِك مِنْ عشرة أَوْجُه :

الأَوَّل : أنّ هذا الْهَيْكَل الإنْسَانيّ لَمَّا كان مُفْتَقِراً إلى مُدَبِّر ومُحَرِّك وهذه الرُّوح تُدَبِّرُه وتُحَرِّكُه عَلِمْنَا أنّ هذا الْعَالَم لا بُدَّ له مِنْ مُدَبِّر ومُحَرِّك[(١)] .

الْوَجْه الثّاني : لَمَّا كان مُدَبِّر الْهَيْكَل واحِداً – وهو الرُّوح – عَلِمْنَا أنّ مُدَبِّر هذا الْعَالَم واحِد لا شَرِيكَ له في تدبيره وتقديره ، ولا جائز أنْ يَكُون له شَرِيك في مُلْكِه ؛ قال اللّه تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[(٢)] ، وقال تعالى ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[(٣)] ، وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[(٤)] .

الْوَجْه الثّالِث : لَمَّا كان هذا الْجَسَد لا يَتَحَرَّك إلاَّ بإرادة الرُّوح وتَحْرِيكِهَا له عَلِمْنَا أنّه مُرِيد لِمَا هو كائن في كَوْنه ، لا يَتَحَرَّك بِخَيْر أو شَرّ إلاَّ بِتَقْدِيره وإرادتهِ وقضائه[(٥)] .

الْوَجْه الرّابع : لَمَّا كان لا يَتَحَرَّك في الْجَسَد شَيْء إلاَّ بِعِلْم الرُّوح وشعورهَا به – لا يَخْفَى على الرُّوح مِنْ حركات الْجَسَد وسكناتِه شَيْء – عَلِمْنَا أنّه لا يَعْزُب

---

(١) قال الْخَازِن رحمه الله : مَنْ عَبَد غَيْرَ اللّه فَقَدْ جهِل نَفْسه ؛ لأنه لَمْ يَعْتَرِفْ بأنّ اللّه خالِقُهَا ، وقَدْ جاء ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ ، ومَعْنَاه : أنْ يَعْرِف نَفْسَه بالذُّلّ والْعَجْز والضَّعْف والْفَنَاء ، ويَعْرِف رَبَّه بالْعِزّ والْقُدْرَة والْقُوَّة والْبَقَاء .. لُبَاب التَّأْوِيل ١/١١٢ ، ١١٣

(٢) سورة الأنبياء مِنَ الآية ٢٢

(٣) سورة الإسراء مِنَ الآيتَيْن ٤٢ ، ٤٣

(٤) سورة الْمُؤْمِنُون مِنَ الآية ٩١

(٥) قال الفخر الرّازيّ رحمه الله في " اللّوامع " : ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّه﴾ أيْ مَنْ عَرَف رُوحه وكَوْنَهَا جَوْهراً مُتَصرِّفاً في الْبَدَن تَصرُّفَ التَّدْبير وعَلِم صِفَاتِهَا مِنْ أنّهَا باقِيَة بغَيْر الْبَدَن ، لا تَحْتَاج في قَوَامِهَا إلى الْبَدَن ؛ بَلِ الْبَدَن مُحْتَاج إلَيْهَا ، وأنّهَا مَحَلّ الْمَعْرِفَة ، فَمَنْ عَرَف أَمْثَالَ هَذِه الْمَعَارِف عَرَف رَبَّه وصِفَاته مِنْ وَحْدَانيَّته وعِلْمِه وقُدْرَته وإرَادَته وتَصرُّفِه في جُمْلَة الْعَالَم .. يَعْني وأنّ وُجُودَه تعالى مُبَايِنٌ وُجُودَ غَيْرِه .. انْظُرْ نَظْم الدُّرَر لِلْبقاعيّ ٦/٥٩١

عَنه مثقال ذَرَّة في الأرض ولا في السَّماء[1] .

الْوَجْه الْخَامِس : لَمَّا كان هذا الْجَسَد لَمْ يَكُنْ فيه شَيْء أَقْرَبَ إلى الرُّوح مِنْ شَيْء - بَلْ هو قريب إلى كُلّ شَيْء في الْجَسَد - عَلِمْنَا أَنَّه قَرِيب إلى كُلّ شَيْء ، لَيْس شَيْءٌ أَقْرَبَ إليه مِنْ شَيْء ، ولا شَيْءٌ أَبْعَدَ عَنه مِنْ شَيْء ، لا بِمَعْنَى قُرْب الْمَسَافَة ؛ لأَنَّه مُنَزَّه عَنْ ذلك .

الْوَجْه السّادِس : لَمَّا كان الرُّوح موجوداً قَبْل وجود الْجَسَد ويَكُون موجوداً بَعْد عدم الْجَسَد عَلِمْنَا أنه ﷻ موجود قَبْل كَوْن خَلْقِه ويَكُون موجوداً بَعْد فَقْد خَلْقِه ، ما زال ولا يَزَال ، وتَقَدَّس عن الزَّوَال .

الْوَجْه السّابع : لَمَّا كان الرُّوح في الْجَسَد لا يُعْرَف له كَيْفِيَّة عَلِمْنَا أَنَّه مُقَدَّس عن الْكَيْفِيَّة .

الْوَجْه الثّامِن : لَمَّا كان الرُّوح في الْجَسَد لا يُعْلَم له أَيْنِيَّة عَلِمْنَا أَنَّه مُنَزَّه عن الْكَيْفِيَّة والأَيْنِيَّة ، فلا يُوصَف بأَيْن ولا بكَيْف ؛ بَل الرُّوح موجودة في كُلّ الْجَسَد ما خَلاَ مِنْهَا شَيْء مِنَ الْجَسَد ، وكَذَلِك الْحَقّ ﷻ موجود في كُلّ مَكَان ما خَلاَ مِنْه مَكَان وتَنَزَّه عن الْمَكَان والزَّمَان[2] .

---

(١) نَقَل الشَّيْخ إسْمَاعِيل حَقِّيّ رحمه الله عن " التَّأْويلات النَّجْمِيَّة " ما نَصُّه : ولَوْ أَمْعَنْتَ النَّظَر في خصوصيَّة خِلاَفَتِك الْحَقّ تعالى لَعَرَفْتَ نَفْسَك فَعَرَفْتَ رَبَّك ؛ وذَلِك أنّ اللّه تعالى لَمَّا أَرَاد خَلْقَ شَخْصِك مِنَ النُّطْفَة الْمُودَعَة في الرَّحِم اسْتَعْمَل رُوحَك بخِلاَفَتِه لِيَتَصرَّف في النُّطْفَة أيَّامَ الْحَمْل فَيَجْعَلَهَا عالَماً صَغِيراً مُنَاسِباً لِلْعَالَم الْكَبِير : فَيَكُون بَدَنُه بِمَثَابَة الأرض ، ورَأْسُه بِمَثَابَة السَّمَاء ، وقَلْبُه بِمَثَابَة الْعَرْش ، وسِرُّه بِمَثَابَة الْكُرْسِيّ ، وهَذَا كُلُّه بتَدْبِير الرُّوح وتَصَرُّفِه خِلاَفَةً عَنْ رَبِّه ، ثُمّ اسْتَوَى الرُّوح بَعْد فَرَاغِه مِنَ الشَّخْص الْكَامِلِ على عَرْش الْقَلْب استواءً مَكَانياً ، بَل اسْتَوَى لِيَتَصرَّف في جَمِيع أجزاء الشَّخْص ويُدَبِّر أُمُورَه بإفاضة فَيْضِه على الْقَلْب ؛ فإنّ الْقَلْب هو الْقَابل لِفَيْض الْحَقّ تعالى إلى الْمَخْلُوقَات كُلِّهَا ، كَمَا أنّ الْقَلْب مُغْتَنِم فَيْض الرُّوح إلى الْقَالَب كُلِّه ، فإذا تَأَمَّلْتَ في هَذَا الْمِثَال تأمُّلاً شافِياً وَجَدْتَه في نَفْي الشَّبِيه عَن الصِّفَات الْمُنَزَّهَة الْمُقَدَّسَة كافياً وتَحَقَّقْتَ حَقِيقَة ﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾ إنْ شاء اللّه تعالى ..

انْظُرْ رُوح الْبَيَان ١٩٦/٣

(٢) قال أبو السُّعُود الْعِمَادِيّ رحمه الله : إنّ النَّفْس الإنسانيَّة مُجَرَّدَة لَيْسَتْ حالَّةً في الْبَدَن ولا خارجةً عَنْه ، مُتَعَلِّقَة به تَعَلُّقَ التَّدْبير والتَّصرُّف ، تَسْتَعْمِلُه كَيْفَمَا شاءَتْ ، فإذا أَرَادَتْ =

الْوَجْه التَّاسِع : لَمَّا كان الرُّوح في الْجَسَد لا يُدْرَك بِالْبَصَر ولا يُمَثَّل بِالصُّوَر عَلِمْنَا أنَّه لا تُدْرِكُه الأبصار ولا يُمَثَّل بِالصُّوَر والآثار ولا يُشَبَّه بِالشُّمُوس والأَقْمَار ولَيس كَمِثْلِه شَيْء ، وهو السَّمِيع الْبَصِير[١] .

الْوَجْه الْعَاشِر : لَمَّا كان الرُّوح لا يُحَسّ ولا يُجَسّ ولا يُمَسّ عَلِمْنَا أنَّه مُنَزَّه عن الْحِسّ والْجِسْم والْمَسّ .

فَهَذَا مَعْنَى قولِه ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّه﴾ ، فَطُوبَى لِمَنْ عَرَف وبِذَنْبِه اعْتَرَف .

وفي هذا الْحَدِيث تفسير آخَر : وهو أنَّك تَعْرِف أنّ صفات نَفْسك على الضِّدّ مِنْ صفات رَبِّك : فَمَنْ عَرَف نَفْسَه بِالْعُبُودِيَّة عَرَف رَبَّه بِالرُّبُوبِيَّة ، ومَنْ عَرَف نَفْسَه بِالْفَنَاء عَرَف رَبَّه بِالْبَقَاء[٢] ، ومَنْ عَرَف نَفْسَه بِالْجَفَاء والْخَطَاء عَرَف رَبَّه

= فِعْلاً مِنَ الأفاعيل الْجُسْمَانِيَّة تُلْقِيه إلى ما في الْقَلْب مِنَ الرُّوح الْحَيَوَانِيّ - الذي هو أَعْدَلُ الأرواح وأَصْفَاهَا وأَقْرَبُهَا مِنْهَا وأَقْوَاهَا مُنَاسَبَةً إلى عالَم الْمُجَرَّدَات - إلقاءً رُوحَانِيّاً ، وهو يُلْقِيه بِوَاسِطَة ما في الشَّرَايِين مِنَ الأرواح إلى الدِّمَاغ الذي هو مَنْبَت الأعصاب التي فِيهَا الْقُوَى الْمُحَرِّكَة لِلإنسان ، فَعِنْد ذَلِك يُحَرِّك مِنَ الأعضاء ما يَلِيق بِذَلِك الْفِعْل مِنْ مَبَادِيه الْبَعِيدَة والْقَرِيبَة ، فَيَصْدُر عَنْه ذَلِك بِهَذِه الطَّرِيقَة ، فَمَنْ عَرَف نَفْسَه على هَذِه الْكَيْفِيَّة مِنْ صِفَاتِهَا وأَفْعَالِهَا تَسَنَّى له أنْ يَتَرَقَّى إلى معرفة رَبّ الْعِزَّة - عَزّ سُلْطَانُه - ويَطَّلِع على أنَّه سُبْحَانَه مُنَزَّه عَنْ كَوْنه داخِلاً في الْعَالَم أو خارِجاً عَنْه ، يَفْعَل فيه ما يَشَاء ويَحْكُم ما يُرِيد بِوَاسِطَة ما رَتَّبَه فيه مِنَ الْمَلائِكَة الذين يُسْتَدَلّ على شُئُونِهِمْ بِمَا ذُكِر مِنَ الأرواح والْقُوَى الْمُرَتَّبَة في الْعَالَم الإنسانِيّ الذي هو نُسْخَة لِلْعَالَم الأكبر وأُنْمُوذَج مِنْه .. تفسير إرشاد الْعَقْل السَّلِيم ١٧٥/٩

(١) قال الشَّيْخ الأَكْبَر ابن عَرَبِيّ ﷺ : ولا يُنْكِر عاقِل وجودَ الرُّوح مِنْ نَفْسه وإنْ كان لَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَتَه ، كَذَلِك لا يَقْدِر أنْ يُنْكِر وجودَ الْبَارِي سُبْحَانَه الذي دَلَّتْ أفعالُه عَلَيْه وإنْ لَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَتَه .. انْظُرْ تفسير الْجَوَاهِر الْحِسَان لِلثَّعَالِبِيّ ٢٠٨/٤

(٢) يَقُول السَّيِّد أَحْمَد الرِّفَاعِيّ ﷺ : إخواني .. مَنْ عَرَف نَفْسَه بِالْفَنَاء وعَرَف اللّٰه بِالْبَقَاء مَيَّل نَفْسَه عَنِ الدُّنْيَا .. البرهان المؤيد /١٣٣

وقال الْفَخْر الرَّازِيّ رحمه الله : مَعْنَاه [أي الْحَدِيث] : مَنْ عَرَف نَفْسَه بِالْحُدُوث عَرَف رَبَّه بِالْقِدَم ، ومَنْ عَرَف نَفْسَه بِالإمْكَان عَرَف رَبَّه بِالْوُجُوب ، ومَنْ عَرَف نَفْسَه بِالْحَاجَة عَرَف رَبَّه بالاسْتِغْنَاء .. تَفْسِير مَفَاتِيح الْغَيْب ١١١/٩

بالْوَفاء والْعَطَاء ، ومَنْ عَرَفَ نَفْسَه كَمَا هي عَرَفَ رَبَّه كَمَا هو .

واعْلَمْ أنّه لا سَبِيلَ لك إلى معرفة إيّاك كَمَا إيّاك ، فكَيْف لك سَبيل إلى معرفة إيّاه كَمَا إيّاه ؟!

فكأنّه في قولِه ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّه﴾ عَلَّق مُسْتَحِيلاً على مُسْتَحِيل ؛ لأنّه يَسْتَحِيل أنْ تَعْرِف نَفْسَك وكَيْفِيَّتَهَا وكَمِّيَّتَهَا ، فإنّك إذَا كُنْتَ لا تُطِيق بأنْ تَصِف نَفْسَك التي هي بَيْن جَنْبَيْك بكَيْفِيَّة وأَيْنيَّة ولا شَبَحيَّة ولا هَيْكَلِيَّة ولا هي بمَرْئِيَّة فَكَيْف يَلِيق بعُبُودِيَّتِك أنْ تَصِف الرُّبُوبِيَّةَ بِكَيْف وأين وهو مُقَدَّس عَنِ الْكَيْف والأَيْن ؟!

وفي ذَلِك أَقُول :

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولْ ⁂ قَصِّرِ الْقَوْلَ فَذَا شَرْحٌ يَطُولْ
ثَمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ⁂ ضُرِبَتْ واللَّهِ أَعْنَاقُ الْفُحُولْ
أَنْتَ لاَ تَعْرِفُ إِيَّاكَ ولَمْ ⁂ تَدْرِ مَنْ أَنْتَ ولا كَيْفَ الْوُصُولْ
لاَ ولاَ تَدْرِي صِفَاتٍ رُكِّبَتْ ⁂ فِيكَ حارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولْ
أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا ⁂ هَلْ تَرَاهَا فَتَرَى كَيْفَ تَجُولْ ؟!
هَذِهِ الأَنْفَاسُ هَلْ تَحْصُرُهَا ؟! ⁂ لاَ ولاَ تَدْرِي مَتَى عَنْكَ تَزُولْ
أَيْنَ مِنْكَ الْعَقْلُ والْفَهْمُ إِذَا ⁂ غَلَبَ النَّوْمُ ؟! فَقُلْ لِي يَا جَهُولْ
أَنْتَ أَكْلُ الْخُبْزِ لاَ تَعْرِفُهُ ⁂ كَيْفَ يَجْرِي مِنْكَ أَمْ كَيْفَ تَبُولْ
فَإِذَا كانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي ⁂ بَيْنَ جَنْبَيْكَ كَذَا فِيهَا ضَلُولْ
كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ؟! ⁂ لاَ تَقُلْ : كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ النُّزُولْ ؟
كَيْفَ تَجَلَّى اللَّهُ أَمْ كَيْفَ يُرَى ؟ ⁂ فَلَعَمْرِي لَيْسَ ذَا إلاَّ فُضُولْ
هُوَ لاَ كَيْفَ ولاَ أَيْنَ لَهُ ⁂ وهْوَ رَبُّ الْكَيْفِ والْكَيْفُ يَحُولْ
وهْوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لا فَوْقَ لَهُ ⁂ وهْوَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي لاَ يَزُولْ
جَلَّ ذاتاً وصِفَاتٍ وسَمَا ⁂ وتَعَالَى قَدْرُهُ عَمَّا أَقُولْ[1]

---

(١) زُبَد خُلاصَة التَّصوُّف الْمُسَمَّى بـ" حَلّ الرُّمُوز ومَفَاتِيح الْكُنُوز " /٨٠ – ٨٣ ، وهو مَنْسُوب لِلْعِزّ بن عَبْدَ السَّلاَم في نُسَخِه الْمَطْبُوعَة ، وإنْ كُنّا نُرَجِّح نِسبَتَه لِعِزّ الدِّين عَبْد السَّلاَم ابن غانِم الْمَقْدِسِيّ .

وقال الْقُونَوِيّ(١) في " شَرْح التَّعَرُّف "(٢) : ذَكَر بَعْضُهُمْ في هذا الْحَدِيث أنّه مِنْ باب التَّعْلِيق بِمَا لا يَكُون ؛ وذلك أنّ معرفة النّفْس قَدْ سَدّ الشّارِعُ بابَهَا ؛ لِقوله ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾(٣) ، فَنَبَّه بِذَلِك على أنّ الإنسان إذَا عَجز عَنْ إدراك نَفْسه – التي هي مِنْ جُمْلَة الْمَخْلُوقَات – وهي أَقْرَبُ الأشياء إليه فهو عَنْ معرفة خالِقِه أَعْجَزُ ، بَلْ هو عاجز عَنْ إدراك حقيقة قُوَاه وحَوَاسِّه : كَسَمْعِه وبَصَرِه وشَمِّه وكَلامِه وغَيْر ذلك ؛ فإنّ لِلنّاس في كُلٍّ مِنْهَا اختلافاتٍ ومذاهبَ لا يَحْصُل النّاظِر مِنْهَا على طائل : كاختلافِهِمْ في أنّ الإبصار بالانطباع أو بِخُرُوج الشُّعَاع ، وأنّ الشّمّ بِتَكَيُّف الْهَوَاء أو بانْبِثَاث الأجزاء مِنْ ذِي الرّائحَة ... إلى غَيْر ذلك مِنْ الاختلافات الْمَشْهُورَة ، فإذَا كان الْحَال في هَذِه الأشياء الظّاهِرَة التي يُلابسُهَا لإنسان على هذا الْمِنْوَال فَكَيْف يَكُون الْحَال في معرفة الْكَبِير الْمُتَعَال ؟!(٤) .

وقَدْ تَحَصَّل مِمَّا سُقْنَاه في مَعْنَى هذا الأثر أقوال ، واللّه أَعْلَم بالصَّوَاب ، وإلَيْه لْمَرْجِع والْمَآب .

---

١) الْقُونَوِيّ : هو صَدْر الدِّين مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد بن يُوسُف بن عَلِيّ الرُّومِيّ لشافِعِيّ ﷺ ، الشَّيْخ الْكَبِير الشَّهِير الزّاهِد ، رَبِيب الشَّيْخ مُحْيِي الدِّين بن عَرَبِيّ وأحَد كِبَار لامذته ، أخَذ عَنْه وعن الأمير شَرَف الدِّين يعقوب بن مُحَمَّد الْهَذَبَانِيّ وأَخَذ عَنْه الْعَفِيف لتِلِمْسَانِيّ وقُطْب الدِّين الشِّيرَازِيّ وسَعْد الدِّين الْكَاسَانِيّ وشَمْس الدِّين الأَيْكِيّ .

مِنْ مُصَنَّفَاتِه : النُّصُوص في تَحْقِيق الطَّور الْمَخْصُوص ، اللَّمْعَة النُّورَانِيَّة في مُشْكِلات الشَّجَرَة النُّعْمَانِيَّة ، إعجاز الْبَيَان في كَشْف أسرار الْقُرْآن ، تَفْسِير سورة الْفَاتِحَة ، مِفْتَاح الْغَيْب ، شَرْح الأَسْمَاء الْحُسْنَى ، النَّفَحَات الإلَهِيَّة الْقُدْسِيَّة ، الرِّسَالَة الْمُرْشِدِيَّة في أحكام الصِّفَات الإلَهِيَّة ، لطائف الأعلام في إشارات أَهْل الإلْهَام ، نَفْثَة الْمَصْدُور ، بَرْزَخ الْبَرَازِخ .

تُوُفّي ﷺ بقُونِيَة سَنَة ٦٧٣ هـ .

٢) وهو كِتَاب حُسْن التَّصَرُّف في شَرْح التَّعَرُّف لِمَذْهَب أَهْل التَّصَوُّف .

٣) سورة الإسراء مِن الآية ٨٥

٤) قال النَّخْجَوَانِيّ ٦/١ : إذ الْبَشَر عاجز عَنْ معرفة نَفْسه ، فَكَيْف عَنْ معرفة رَبّه ؟! ولِهَذَا قال أَصْدَقُ الْقَائلِين ﷺ في مقام الْعَجْز والْقُصُور ﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه ﴾ ؛ اذ النَّفْس والرُّوح كِلاهُمَا مِنْ عالَم الأمر الإلَهِيّ ، وما لَنَا اطِّلاع به على طَرِيق اللّمِّيَّة الْحُصُول ، بَلْ بِطَرِيق الإنِّيَّة والْحُضُور.. تَفْسِير الْفَوَاتِح الإلَهِيَّة والْمَفَاتِح الْغَيْبِيَّة ٦/١

أَهَمّ مَرَاجِع التَّحْقِيق

* الْقُرْآن الْكَرِيم .
* أَبْجَد الْعُلُوم لِلْقِنُّوجِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٩٧٨ م .
* الأَحَادِيث الْمُخْتَارَة لِلضِّيَاء الْمَقْدِسِيّ .. مَكْتَبَة النَّهْضَة الْحَدِيثَة – مَكَّة الْمُكَرَّمَة ١٤١٠ هـ .
* إِحْيَاء عُلُوم الدِّين لأَبِي حَامِد الْغَزَالِيّ .. دَار الْمَعْرِفَة – بَيْرُوت .
* الأَدَب الْمُفْرَد لِلْبُخَارِيّ .. دَار الْبَشَائِر – بَيْرُوت ١٤٠٩ هـ .
* أنوار التَّنْزِيل وأسرار التَّأْوِيل (تَفْسِير الْبَيْضَاوِيّ) .. دار الْفِكْر – بَيْرُوت .
* الْبَحْر الْمَدِيد (تَفْسِير ابن عجيبة) .. دار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤٢٣ هـ .
* الْبِدَايَة والنِّهَايَة لابْن كَثِير .. مَكْتَبَة الْمَعَارِف – بَيْرُوت ١٤١٢ هـ .
* الْبَدْر الطَّالِع بِمَحَاسِن مَنْ بَعْد الْقَرْن السَّابِع لِلشَّوْكَانِيّ .. دَار الْمَعْرِفَة – بَيْرُوت .
* الْبُرْهَان الْمُؤَيَّد لِلسَّيِّد / أَحْمَد الرِّفَاعِيّ .. دار الْكِتَاب النَّفِيس – بَيْرُوت ١٤٠٨ هـ .
* تَارِيخ الأُمَم والْمُلُوك لِلطَّبَرِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤٠٧ هـ .
* تَارِيخ بَغْدَاد لِلْخَطِيب الْبَغْدَادِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت .
* تَارِيخ دِمَشْق لابْن عَسَاكِر .. دَار الْفِكْر – بَيْرُوت .
* التَّبْصِير فِي الدِّين لِلإِسْفَرَايِينِيّ .. دار عَالَم الْكُتُب – بَيْرُوت ١٩٨٣ م .
* تَذْكِرَة الْحُفَّاظ لِلذَّهَبِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت .
* تَهْذِيب التَّهْذِيب لابْن حَجَر الْعَسْقَلانِيّ .. دَار الْفِكْر – بَيْرُوت ١٤٠٤ هـ .
* تَهْذِيب الْكَمَال لأَبِي الْحَجَّاج الْمِزِّيّ .. مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة – بَيْرُوت ١٤٠٠ هـ .
* التَّيْسِير بِشَرْح الْجَامِع الصَّغِير لِلْمُنَاوِيّ .. مكتبة الإمام الشَّافِعِيّ – الرِّيَاض ١٤٠٨ هـ .
* الثِّقَات لأَبِي حَاتِم مُحَمَّد بن حِبَّان التَّمِيمِيّ الْبُسْتِيّ .. دَار الْفِكْر – بَيْرُوت ١٩٧٥ م .
* الْجَرْح والتَّعْدِيل لابْن أَبِي حَاتِم .. دَار إِحْيَاء التُّرَاث الْعَرَبِيّ – بَيْرُوت ١٣٧١ هـ .
* جَوَامِع الْكَلِم مِنْ جَوَاهِر مَجَامِع الْحِكَم لِعَاطِف وَفْدِيّ .. مكتبة الرَّحْمَة الْمُهْدَاة – الْمَنْصُورَة ١٤٣١ هـ .
* الْجَوَاهِر الْحِسَان (تَفْسِير الثَّعَالِبِيّ) مؤَسَّسَة الأعلمِيّ – بَيْرُوت .
* جَوَاهِر الْمَعَانِي وبُلُوغ الأَمَانِي لِعَلِيّ حرازم .. مطبعة الاستقامة – الْقَاهِرَة .
* الْحَاوِي لِلْفَتَاوَى لِلسُّيُوطِيّ .. الْمَكْتَبَة الْعَصْرِيَّة – صَيْدَا ١٤١١ هـ .
* حُسْن الْمُحَاضَرَة فِي تَارِيخ مِصْر والْقَاهِرَة .. دَار إِحْيَاء الْكُتُب الْعَرَبِيَّة – الْقَاهِرَة ١٣٨٧ هـ .
* حِلْيَة الأَوْلِيَاء لأَبِي نُعَيْم الأَصْفَهَانِيّ .. دَار الْكِتَاب الْعَرَبِيّ – بَيْرُوت ١٤٠٥ هـ .

* الرِّسَالَة الْمُسْتَطْرَفَة لأَبِي بَكْر الْكِتَّانِيّ .. دَار الْبَشَائر – بَيْرُوت ١٤٠٦ هـ .
* زُبْد خُلاَصَة التَّصَوُّف .. مَنسُوب لِلْعِزّ بن عَبْد السَّلاَم .. مكتبة تاج – طنطا ٢٠٠٦ م .
* الزُّهْد لِلإمَام أَحْمَد .. الْمَكْتَب الثَّقَافِيّ – الْقَاهِرَة .
* رُوح الْمَعَانِي (تَفْسِير الأَلُوسِيّ) .. دَار إِحْيَاء التُّرَاث الْعَرَبِيّ – بَيْرُوت ١٤٠٤ هـ .
* السِّرَاج الْمُنِير فِي الإعانة على معرفة بَعْض كلام رَبِّنَا الْحَكِيم الْخَبِير (تَفْسِير الْخَطِيب الشِّرْبِينِيّ) .. دار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت .
* سُنَن أَبِي دَاوُد .. دَار الْفِكْر – بَيْرُوت .
* سُنَن التِّرْمِذِيّ .. دَار إِحْيَاء التُّرَاث الْعَرَبِيّ – بَيْرُوت .
* سُنَن الدَّارِمِيّ .. دَار الْكِتَاب الْعَرَبِيّ – بَيْرُوت ١٤٠٧ هـ .
* السُّنَن الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيّ .. دَار الْبَاز – مَكَّة الْمُكَرَّمَة ١٤١٤ هـ .
* سِيَر أَعْلاَم النُّبَلاَء لِلذَّهَبِيّ .. مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة – بَيْرُوت ١٤١٣ هـ .
* شَذَرَات الذَّهَب لابْن الْعِمَاد .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤١٣ هـ .
* شَرْح حِزْب الْبَحْر لِلشَّيْخ أَحْمَد زَرُّوق .. دار جوامع الْكَلِم – الْقَاهِرَة ٢٠٠٧ م .
* شُعَب الإيمَان لِلْبَيْهَقِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤١٠ هـ .
* صَحِيح ابْن حِبَّان .. مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة – بَيْرُوت ١٤١٤ هـ .
* صَحِيح الْبُخَارِيّ .. دَار ابْن كَثِير – بَيْرُوت ١٤٠٧ هـ .
* صَحِيح مُسْلِم .. دَار إِحْيَاء التُّرَاث الْعَرَبِيّ – بَيْرُوت .
* صِفَة الصَّفْوَة لابْن الْجَوْزِيّ .. دَار الْمَعْرِفَة – بَيْرُوت ١٣٩٩ هـ .
* الضُّعَفَاء لِلْعُقَيْلِيّ .. دار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤٠٤ هـ .
* الطَّبَقَات الصُّغْرَى لِلشَّعْرَانِيّ .. مَكْتَبَة الْقَاهِرَة – مِصْر ١٤١٠ هـ .
* الطَّبَقَات الْكُبْرَى لِلشَّعْرَانِيّ .. الْمَكْتَبَة التَّوْفِيقِيَّة – الْقَاهِرَة .
* طَبَقَات الصُّوفِيَّة لأَبِي عَبْد الرَّحْمَن السُّلَمِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٩٩٨ م .
* الطَّبَقَات الْكُبْرَى لابْن سَعْد .. دَار صَادِر – بَيْرُوت .
* فَتَاوَى الإمام النَّوَوِيّ .. هدية مجلة الأزهر – الْمُحَرَّم ١٤١١ هـ .
* الْفَوَاتِح الإلَهِيَّة وَالْمَفَاتِح الْغَيْبِيَّة (تَفْسِير النَّخْجَوَانِيّ) .. دار ركابي – مصر ١٩٩٩ م .
* الْكَامِل فِي ضُعَفَاء الرِّجَال لابْن عَدِيّ .. دَار الْفِكْر – بَيْرُوت ١٤٠٩ هـ .
* كَشْف الْخَفَاء لِلْعَجْلُونِيّ .. مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة – بَيْرُوت ١٤٠٥ هـ .
* كَشْف الظُّنُون لِمُصْطَفَى بن عَبْد الله الرُّومِيّ الْحَنَفِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٩٩٢ م .

* الْكَوَاكِب الدُّرِّيَّة في تَرَاجِم السَّادَة الصُّوفِيَّة لِلْمُنَاوِيّ .. الْمَكْتَبَة الأَزْهَرِيَّة – الْقَاهِرَة ١٩٩٤ م .

* اللآلئ الْمَنْثُورَة في الأحاديث الْمَشْهُورَة لِلزَّرْكَشِيّ .. الْمَكْتَب الإسْلامِيّ – بَيْرُوت .

* لُبَاب التَّأْوِيل في مَعَانِي التَّنْزِيل (تَفْسِير الْخَازِن) .. دار الْفِكْر – بَيْرُوت ١٣٩٩ هـ .

* اللُّبَاب في عِلْم الْكِتَاب (تَفْسِير ابن عادل .. دار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤١٩ هـ .

* الْمُحَرَّر الْوَجِيز (تَفْسِير ابن عَطِيَّة) .. دار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤١٣ هـ .

* مَدَارِج السَّالِكِين لابْن الْقَيِّم .. دار الْكِتَاب الْعَرَبِيّ – بَيْرُوت ١٣٩٣ هـ .

* الْمُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْن لِلْحَاكِم .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤١١ هـ .

* مُسْنَد إسْحَاق بن رَاهَوَيْه .. مَكْتَبَة الإيمَان – الْمَدِينَة الْمُنَوَّرَة ١٤١٢ هـ .

* مُسْنَد أَبِي يَعْلَى .. دَار الْمَأْمُون – دِمَشْق ١٤٠٤ هـ .

* مُسْنَد الإمَام أَحْمَد .. مُؤَسَّسَة قُرْطُبَة – مِصْر .

* مُسْنَد الْبَزَّار .. مُؤَسَّسَة عُلُوم الْقُرْآن – بَيْرُوت ١٤٠٩ هـ .

* مُسْنَد الْفِرْدَوْس لِلدَّيْلَمِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٩٨٦ م .

* مَعَارِج الْقُدْس إلى مَدَارِج معرفة النَّفْس لأبي حامِد الْغَزَالِيّ .. مكتبة الْجُنْدِيّ – الْقَاهِرَة .

* مَعَالِم التَّنْزِيل (تَفْسِير الْبَغَوِيّ) .. دَار الْمَعْرِفَة – بَيْرُوت ١٤٠٧ هـ .

* الْمُعْجَم الأَوْسَط لِلطَّبَرَانِيّ .. دَار الْحَرَمَيْن – الْقَاهِرَة ١٤١٥ هـ .

* الْمُعْجَم الْكَبِير لِلطَّبَرَانِيّ .. مَكْتَبَة الْعُلُوم والْحِكَم – الْمُوصِل ١٤٠٤ هـ .

* مُعْجَم الْمُحَدِّثِين لِلذَّهَبِيّ .. مَكْتَبَة الصِّدِّيق – الطَّائف ١٤٠٨ هـ .

* مَفَاتِيح الْغَيْب (التَّفْسِير الْكَبِير) لِلْفَخْر الرَّازِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤٢١ هـ .

* الْمُنْتَظِم في تَارِيخ الْمُلُوك والأُمَم لابْن الْجَوْزِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤١٢ هـ .

* الْمِنَح الْقُدُّوسِيَّة في شَرْح الْمُرْشِد الْمُعِين بِطَرِيق الصُّوفِيَّة لأَحْمَد بن مُصْطَفَى الْمُسْتَغَانِمِيّ .. مكتبة الرَّحْمَة الْمُهْدَاة – الْمَنْصُورَة ١٤٣١ هـ .

* الْمُوَطَّأ لِلإمَام مالك .. دَار إحْيَاء الْكُتُب الْعَرَبِيَّة – الْقَاهِرَة .

* مِيزَان الاعْتِدَال لِلذَّهَبِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٩٩٥ م .

* نَظْم الدُّرَر في تَنَاسُب الآيات والسُّوَر (تَفْسِير الْبِقَاعِيّ) .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤١٥ هـ .

* النُّور السَّافِر عَنْ أَخْبَار الْقَرْن الْعَاشِر لِعَبْد الْقَادِر الْعَيْدَرُوسِيّ .. دَار الْكُتُب الْعِلْمِيَّة – بَيْرُوت ١٤٠٥ هـ .

فِهْـرس الْكِـتَـاب

الْمَـــوْضُـــوع	صفحة
** مُقَدِّمَة الْمُحقِّق :	٣
ذِكْر بَعْض مِنْ كَلاَم الأئمَّة الأعلام فِي مَعْنَى وأَهَمِّيَّة مَعْرِفَة النَّفْس :	٤
– مِنْ أقوال سَيِّدِنَا عَلِيّ كَرَّم اللَّه وَجْهَه	٤
– مِنْ كَلاَم حُجَّة الإسلام الْغَزَالِيّ ﷺ	١٠
تَنْبيه مُهِمّ قَبْل قِرَاءَة الرِّسَالَة الْوُجُودِيَّة	١٤
عَمَلِي فِي هَذَا الْكِتَاب	١٦
** الرِّسَالَة الْوُجُودِيَّة فِي مَعْنَى قَوْلِه ﷺ ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ :	١٧
التَّعْرِيف بِمُؤَلِّف الرِّسَالَة : الشَّيْخ مُحْيِي الدِّين بن عَرَبِيّ ﷺ	١٨
مُقَدِّمَة الْمُؤَلِّف	٢٢
الْكَلاَم على حَدِيث ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾	٢٣
معرفة اللَّه لا تَحْتَاج إلى فَنَاء الْوُجُود ولا إلى فَنَاء الْفَنَاء	٢٤
سَبِيل معرفة النَّفْس ومعرفة اللَّه	٢٥
فائدة معرفة النَّفْس	٢٨
كَيْف السَّبِيل إلى وِصَالِه ؟	٢٩
مَعْنَى الْقُرْب بلاَ قُرْب والْبُعْد بلاَ بُعْد	٣٠
كَيْف يَعْرِف غَيْرُ اللَّهِ اللَّهَ ؟! وكَيْف يَصِل إلَيْه ؟	٣١
بِأيِّ نَظَرٍ تَنْظُر إلى جَمِيع الْمَكْرُوهَات والْمَحْبُوبَات ؟	٣٣
فِي بَيَان الطَّرِيق وبَيَان السَّالِك والْمَسْلُوك إلَيْه وبَيَان عَلاَمَاتِهَا	٣٥
** الْقَوْل الأَشْبَه فِي حَدِيث ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه﴾ :	٣٧
التَّعْرِيف بِمُؤَلِّف الرِّسَالَة : الْحَافِظ جَلاَل الدِّين السُّيُوطِيّ ﷺ	٣٨
مُقَدِّمَة الْمُؤَلِّف	٤٢
الْكَلاَم على الْحَدِيث مِنْ حَيْث الإسْنَاد	٤٢
كَلاَم الإمام النَّوَوِيّ ﷺ فِي مَعْنَى الْحَدِيث	٤٤
كَلاَم الشَّيْخ أبي الْعَبَّاس الْمُرْسِيّ ﷺ فِي مَعْنَى الْحَدِيث	٤٤
كَلاَم الشَّيْخ أبي طَالِب الْمَكِّيّ ﷺ فِي مَعْنَى الْحَدِيث	٤٥
كَلاَم الشَّيْخ عِزّ الدِّين ﷺ فِي مَعْنَى الْحَدِيث	٤٥
كَلاَم الشَّيْخ صَدْر الدِّين الْقُونَوِيّ ﷺ فِي مَعْنَى الْحَدِيث	٥٠
أَهَمّ مَرَاجِع التَّحْقِيق	٥١

مِنْ مَطْبُوعَاتِنَا

* شَرْح شَيْخ الإِسْلاَم أَبي الْعَيْنَيْن الدُّسُوقِيّ عَلَى مَتْن أَبي شُجَاع (قِسْم الْعِبَادَات) .
* لِسَان التَّعْرِيف بِحَال الْوَلِيّ الشَّرِيف سَيِّدِي إِبْرَاهِيم الدُّسُوقِيّ لِجَلاَل الدِّين الْكَرَكِيّ .
* الأَجْوِبَة التُّونُسِيَّة عَلَى الرِّسَالَة النَّجْدِيَّة لأَبي حَفْص عُمَر بن أَبي الْفَضْل الْمَحْجُوب الْمَالِكِيّ .
* كَشْف النُّور عَنْ أَصْحَاب الْقُبُور لِلشَّيْخ عَبْد الْغَنِيّ النَّابُلْسِيّ .
* اللُّؤْلُؤ الْمَكْنُون فِي حُكْم الإِخْبَار عَمَّا سَيَكُون لِلشَّيْخ عَبْد الْغَنِيّ النَّابُلْسِيّ .
* الْكَوْكَب الْمُتَلاَلِي شَرْح قَصِيدَة الْغَزَالِي لِلشَّيْخ عَبْد الْغَنِيّ النَّابُلْسِيّ .
* الْمَوْلِد الشَّرِيف لِلشَّيْخ عَبْد الْغَنِيّ النَّابُلْسِيّ .
* أَرْبَعُون حَدِيثاً فِي مَكَارِم أَخْلاَقِه ﷺ ، يَلِيه أَرْبَعُون حَدِيثاً فِي شَفَاعَتِه ﷺ يَوْم الْقِيَامَة لِلنَّبْهَانِيّ .
* مِنْ جَوَاهِر الْقَاضِي النَّبْهَانِيّ فِي شَمَائِل وَمَكَارِم وَفَضَائِل وَمُعْجِزَات وَخَصَائِص الْحَبِيب الأَكْرَم ﷺ .
* اللَّمَحَات الرَّافِعَات لِلتَّذْهِيش عَنْ مَعَانِي صَلَوَات ابْن مَشِيش لِلشَّيْخ مُصْطَفَى الْبَكْرِيّ ، يَلِيه شَرْح صَلاَة ابْن بَشِيش لِلشَّيْخ أَحْمَد الصَّاوِيّ ، يَلِيهِمَا الْوَظِيفَة الشَّاذُلِيَّة وَالْوَظِيفَة الصِّدِّيقِيَّة .
* الْكَوْكَب الدُّرِّيّ الرَّفِيع شَرْح الْجَمَال الْبَدِيع عَلَى سَاكِن الْبَقِيع ، يَلِيه رِيّ الظَّمْآن فِي الصَّلاَة عَلَى إِنْسَانِ عَيْنِ كُلّ إِنْسَان ، يَلِيه مِنْحَة الْمَنَّان الْمَرْضِيَّة فِي مَعْنَى أَسْمَاء وَفُرُوع الطَّرِيقَة الْخَلْوَتِيَّة لِلشَّيْخ مَنْصُور مُحَمَّد هَيْكَل الشَّرْقَاوِيّ .
* فَرَح الأَسْمَاع بِرُخَص السَّمَاع لِلشَّيْخ أَبي الْمَوَاهِب الشَّاذُلِيّ التُّونُسِيّ .
* الْفُتُوحَات الرَّبَّانِيَّة فِي تَفْضِيل الطَّرِيقَة الشَّاذُلِيَّة لِلشَّيْخ مُحَمَّد الْفَاسِيّ .
* الْعَلَم الظَّاهِر فِي نَفْع النَّسَب الطَّاهِر لابْن عَابِدِين .
* بُرْدَة الْمَدِيح الْمُبَارَكَة لِلْبُوصِيرِيّ .
* إِحْيَاء الْمَيْت بِفَضَائِل آل الْبَيْت لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ ، يَلِيه مَعْرِفَة مَا يَجِب لآل الْبَيْت النَّبَوِيّ مِنَ الْحَقّ عَلَى مَنْ عَادَاهُمْ لِتَقِيّ الدِّين الْمَقْرِيزِيّ .
* الْبَاهِر فِي حُكْم النَّبِيّ ﷺ بِالظَّاهِر وَالْبَاطِن لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .
* مِنْ رَسَائِل الْحَافِظ السُّيُوطِيّ فِي إِيمَان وَفَضْل الأَبَوَيْن الشَّرِيفَيْن .
* سِهَام الإِصَابَة فِي الدَّعَوَات الْمُسْتَجَابَة لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .
* مَفَاتِيح الْفَرَج .
* كُنْه مَا لا بُدّ لِلْمُرِيد مِنْه ، يَلِيه مَا لا يُعَوَّل عَلَيْه لِلشَّيْخ الأَكْبَر مُحْيِي الدِّين بن عَرَبِيّ .
* شَرْح الْحِكَم الْعَطَائِيَّة لِشَيْخ الإِسْلاَم عَبْد اللّه الشَّرْقَاوِيّ .
* شَرْح وِرْد الإِشْرَاق ، يَلِيه شَرْح وِرْد الضُّحَى لِشَيْخ الإِسْلاَم عَبْد اللّه الشَّرْقَاوِيّ .
* شَرْح قَصِيدَة أَبي مَدْيَن (مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلاَّ صُحْبَةُ الْفُقَرَا) يَلِيه شَرْح قَصِيدَة ابْن بِنْت الْمَيْلَق (مَنْ ذَاقَ طَعْمَ شَرَاب الْقَوْم يَدْرِيهِ) لِشِهَاب الدِّين بن عَلاَّن الصِّدِّيقِيّ .
* غَوْث الْعِبَاد بِبَيَان الرَّشَاد لِلشَّيْخ مُصْطَفَى الْحَمَّامِيّ .
* الزَّهْر النَّدِيّ فِي خَصَائِص النَّبِيّ لأَبي هَاشِم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .

* سَيِّدُنَا مُحَمَّد ﷺ نَبِيّ الأَنْبِيَاء وأَوَّل الْخَلْق لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* كَلِمَة فِي التَّوَسُّل بِسَيِّدِنَا رَسُول الله ﷺ لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* طَهَارَة نَسَب الْمُصْطَفَى صَلَّى الله عَلَيْه وعَلَى آله ووَالِدَيْه وسَلَّم لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* فِي زِيَارَة قَبْره الشَّرِيف ومَسْجده الْمُنِيف ﷺ لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* مِنْ أَدْعِيَة الْمُصْطَفَى ﷺ لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* إلى الذي سَأَلَنِي مَن الذي خَلَق الله ؟! لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف (كُتَيِّب) .
* حُسْن الْغَرْس فِي بَيَان أُصُول الْخُطْبَة والدَّرْس لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف .
* تَعْلِيم الْقِرَاءَة لِدُور تَحْفِيظ الْقُرْآن الْكَرِيم لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف .
* رَكَائِز التَّوْحِيد فِي مَدْرَسَة مُحَمَّد بن عَبْد الْوَهَّاب لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف .
* ابْن تَيْمِيَة .. ذَلِك الْوَهْم الْكَبِير لأَبِي هَاشِم الشَّرِيف .
* الأَدْعِيَة والأَذْكَار الْمَأْثُورَات أَثْنَاء وبَعْد الصَّلَوَات لِلدُّكْتُور إِسْمَاعِيل عَبْد الرَّحْمَن .
* مُخْتَصَر أَحْكَام الْمِيرَاث لِلدُّكْتُور إِسْمَاعِيل عَبْد الرَّحْمَن .
* الأَجْوِبَة الْفِقْهِيَّة فِي مَنَاسِك الْحَجّ والْعُمْرَة لِلدُّكْتُور إِسْمَاعِيل عَبْد الرَّحْمَن .
* سُنَن مَهْجُورَة مِنَ الصَّلَوَات الْمَأْثُورَة لِحَافِظ عَلِيّ شعيشع .
* النُّور ﷺ أَوَّل خَلْق الله لِعَاطِف وَفْدِيّ (كُتَيِّب) .
* الدُّعَاء لِلْمُتَوَفَّى وحُكْم التَّلْقِين ووُصُول ثَوَاب الأَعْمَال إِلَيْه لِعَاطِف وَفْدِيّ (كُتَيِّب) .
* مَجَالِس الذِّكْر لِعَبْد الرَّحِيم مَدِينَة .
* التَّوَسُّل وطَلَب الْمَدَد لِعَبْد الرَّحِيم مَدِينَة .
* والِدَا النَّبِيّ ﷺ لِعَبْد الرَّحِيم مَدِينَة .

كُتُب تَحْت الطَّبْع

* الْخَصَائِص الصُّغْرَى لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .
* الْخَصَائِص الْكُبْرَى لِلْحَافِظ السُّيُوطِيّ .
* الْفَتَاوَى الْحَدِيثِيَّة لِلْعَلاَّمَة ابْن حَجَر الْهَيْتَمِيّ .
* التَّرْخِيص بِالْقِيَام لِذَوِي الْفَضْل والْمَزِيَّة مِنْ أَهْل الإِسْلام لِلإمَام النَّوَوِيّ .
* الْفُتُوحَات الإِلَهِيَّة فِي نَفْع أَرْوَاح الذَّوَات الإِنْسَانِيَّة لِشَيْخ الإِسْلاَم زَكَرِيَّا الأَنْصَارِيّ .
* الْفَتْح الْمُبِين فِي جُمْلَة مِنْ أَسْرَار الدِّين لِلشَّيْخ الشَّعْرَانِيّ .
* دُرَر الْغَوَّاص فِي فَتَاوَى الْخَوَّاص لِلشَّيْخ الشَّعْرَانِيّ .
* خَمْرَة الْحَان ورَنَّة الأَلْحَان لِلشَّيْخ عَبْد الْغَنِيّ النَّابُلْسِيّ .
* نُخْبَة الْمَسْأَلَة شَرْح التُّحْفَة الْمُرْسَلَة لِلشَّيْخ عَبْد الْغَنِيّ النَّابُلْسِيّ .
* طَبَقَات الأَوْلِيَاء لابْن الْمُلَقِّن .
* الْحِكَم الْعَطَائِيَّة بِشَرْح الشَّيْخ ابن عَبَّاد النَّفْزِيّ .
* الْمَقْصِد الأَسْنَى فِي شَرْح الأَسْمَاء الْحُسْنَى لِلشَّيْخ عَبْد الْعَزِيز الدِّرِينِيّ .